مدينة فاس
منذ تأسيسها حتى نهاية دولة بني مرين
الفترة من سنة (192 - 869م)

تأليف
د. سهيلة زين العابدين حمّاد

مدينة فاس

منذ تأسيسها حتى نهاية دولة بني مرين

الفترة من سنة (192 - 869م)

تأليف

د. سهيلة زين العابدين حمّاد

الإهداء

أهدي هذا الكتاب إلى الشعب المغربي العربي الشقيق عامة ، وإلى أهل مدينة فاس العريقة خاصة الذين قدّموا للإنسانية حضارة علمية وفكرية ثرية، وتراثًا معماريًا فريدًا آية في الجمال والإبداع ، وزاوجوا بين الأصالة والمعاصرة بحفاظهم على تراثهم وآثارهم، وجعلوها مثلًا حيًا يمثل أمامهم في مدينة فاس القديمة، وفي ذات الوقت ساروا في ركب الحضارة الحديثة دون أن يذوبوا فيها ويفقدوا هويتهم الإسلامية العربية المغربية، فتحية من الأعماق لهذا الشعب المغربي العربي المسلم.

فهرس الموضوعات

الإهداء 2
فهرس الموضوعات 3
مقدمة 6

الفصل الأول..... 9

قيام دولة الادارسة(172- 305ه..... 9

كيف وصل إدريس بن عبد الله بن الحسن إلى بلاد المغرب؟ 10
الأوضاع السياسية في المغرب عند قيام دولة الأدارسة 11
الدولة الإدريسية..... 12
صراع الأدارسة مع قوى السياسية في المغرب..... 13
صراع الأدارسة مع الخوارج..... 14

الفصل الثاني 16

خطط فاس 16

اختيار موضع فاس 17
موقع مدينة فاس..... 18
تخطيط فاس..... 21
المساجد في فاس في عهد الأدارسة 25

الفصل الثالث 27

فاس في ظل المرابطين والموحدين والمرينيين 27

فاس في ظل دولة المرابطين (430هـ – 515هـ) 28
فاس في عصر المرينيين (610هـ - 869 هـ) 29
فاس في عيون الرحالة ابن بطوطة 30
فاس في عيون الرحالة ابن عابد الفاسي..... 31

الفصل الرابع 33

جامع القرويين ودوره في الحركة العلمية 33

الحركة العلمية في فاس قبل جامع القرويين 34
بناء جامع القرويين 34
صاحبة البناء فاطمة القيروانية..... 35
مكانة جامعة القرويين بين جامعات العالم..... 35
بناء جامع القرويين بالمال الحلال الطيب 36
حجم الجامع الأول وأقسامه..... 37
الزيادة في الجامع على عهد زناتة..... 37
الزيادة في جامع القرويين في عصر بني مرين..... 38
الحركة العلمية..... 38
عوامل نشاط الحياة الفكرية في عصر المريني 39
أولا: العلوم الدينية 40

التفسير والعلوم القرآن 40
علم الحديث 41
الفقه 42
ثانيا: المواد العلمية 42
اللغة والنحو 42
الأدب والشعر 43
التاريخ والسير والرحلات 43
الطب 44
الفلسفة والمنطق 44
جامعة القرويين 46
أساتذة جامعة القرويين 47
أبرز تلامذة جامعة القرويين 48
مكتبه جامعة القرويين 48

الفصل الخامس 50

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العصر المريني 50

أولًا: الحياة الاقتصادية 51
الصناعة 51
الصناعات الحربية 52
الزراعة 52
التجارة 53
التجارة الداخلية 54
ثانيا: الحياة الاجتماعية 55
عناصر المجتمع المغربي في دولة بني مرين 55
مكانة المرأة المغربية في العصر المريني 56
زي المرأة المغربية 57
ملابس السلاطين 58
ملابس العلماء 59
الاحتفالات في المجتمع المريني 60

الفصل السادس 61

اليهود في العصر المريني 61

استقرار اليهود في العاصمة فاس 62
فرض الجزية على اليهود 64
مآخذ سلوكية لبعضهم 65
العسف واستلاب الأموال .. والناس في شدة 67
دور اليهود في الحياة الاقتصادية في العصر المريني 68
عمل اليهود بالتجارة في الدولة المرينية 69
عدم اشتغال اليهود بالزراعة 69
أسباب سقوط دولة بني مرين 71

الفصل السابع 73

الحركة العمرانية في العصر المرين 73

تمهيد 74

المدن الجديدة 74
فاس الجديدة..... 74
البنية 75
المنصورة 75
تطوان..... 76
المنشآت العامة 77
المساجد..... 77
مسجد أبي الحسن بفاس 79
جامع الأندلس..... 81
المدارس..... 85
مدرسة العطّارين بمدينة فاس..... 86
مدرسة الصّفّارين بفاس..... 92
مدرسة الصهريج بفاس 93
المدرسة المصباحية 96
مدرسة السبعين..... 97
المستشفيات ودور الرعاية..... 98
مارِستّان سيدي فرج..... 99
المؤسسات الحربية 102
ثبت مصادر ومراجع البحث 106

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لما كان تاريخ مدينة فاس لا يكتمل إلا بتتبع المراحل التاريخية التي مرت على فاس منذ تأسيسها سنة 192هـ حتى سقوط دولة بني مرين سنة 869هـ رأيت أن تكون هذه الفترة، هي فترة البحث[1].

هذا ولما كان مجال البحث لا يسمح بتتبع هذه المراحل تفصيليًا رأيت أن أركز على فترة التأسيس (دولة الادارسة) في بداية تأسيسها، ثم أركز على أخر مرحلة في فترة البحث وهي التي تمثل قمة ما وصلت إليه فاس من حضارة وتقدم في جميع نواحي الحياة وهي فترة المرينيين (610ـ ــ 869هـ) خاصة أنّ فترة المرينيين تمثل فترة حصاد المرابطين والموحدين، هذا من جهة، ومن جهة أخري أنّ فاسًا كانت عاصمة سياسية للادارسة والمرينيين، أمّا في عصر المرابطين والموحدين كانت العاصمة العلمية فقط – ولعل جامعة القرويين من أهم عوامل حفاظها على هذه المكانة – بينما كانت مراكش عاصمتها السياسية.

هذا ومما يجدر ذكره أنّه توجد فترة ما يسمي بملوك الطوائف وهي التي امتدت من سقوط دولة الادارسة على أيدي الفاطميين سنة 305هـ حتى قيام دولة المرابطين سنة 430هـ، وفيها كان الصراع بين الفاطميين وأموي الأندلس.

وبناءً عليه كانت خطة البحث على النحو التالي:

قسّمتُ البحث إلى سبعة فصول

الفصل الأول: تحدثت فيه عن قيام دولة الادارسة وكيف وصل إدريس بن عبد الله إلى المغرب وأسباب ثورة العلويين في المدينة المنورة على الخلافة العباسية ونتائجها. ثم تحدثت عن صراع الادارسة مع القوى السياسية التي كانت آنذاك في الشمال الإفريقي (الأغالبة، الرستميون وهم من الخوارج الاباضية والخوارج الصفرية في دوليتهما بني مدرار في سجلماسة، وبني صالح في تامسنا.

[1] . هذا البحث أحد البحوث التي كتبتها فترة دراستي للسنتيْن التمهيدتيْن بقسم الدراسات العليا تخصص تاريخ إسلامي بكلية الدراسات الإنسانية ــ بنات ــ بجامعة الأزهر بالقاهرة ،(1993 -1994م) ولأهميته رأيتُ إصداره في كتاب اليكتروني ، وقد أضفتُ إليه فصل اليهود في العصر المريني ، وكذلك بعض الإضافات الأخرى فيما يتعلق بالمرأة وبعض المساجد والمدارس والمستشفيات مدعمة بالصور ، وكذلك صور للملابس في العصر المريني ، وبعض المآثر العمرانية لهذا العصر.

الفصل الثاني: خطط فاس وفيه تحدثت عن اختيار موضع فاس، وموقعها وتخطيطهاو الاختلاف حول تأسيسها وأسوارها وخططها.

الفصل الثالث: فاس في ظل المرابطين والموحدين والمرينيين، وفيه أعطيت صورة موجزة عن فأس في ظل هذه الدول واستشهدت بما كتبة المعاصرين مثل عبد الواحد المراكشي المعاصر للموحدين، وابن بطوطة المعاصر للمرينيين.

الفصل الرابع: فهو عن جامع القرويين ودوره في الحركة العلمية وفيه تحدثت عن الحركة العلمية قبل بناء جامع القرويين، ثم قصة بنائه، ومن بناه، وكيف كان بناؤه وحجمه والزيادات والإضافات التي تمت له، ثم تحدثت عن الحركة العلمية وعوامل نشاطها في العصر المريني وازدها العلوم الإسلامية واللغوية والتاريخ والرحلات والجغرافيا والفلك والرياضيات والطب والفلسفة والمنطق ودور جامعة القرويين في تعليم هذه العلوم باعتبارها الجامعة الأولي والأساسية في بلاد المغرب الأقصى، كما تحدثت عن أشهر أساتذتها وتلامذتها، كما تحدثت في هذا الفصل عن دور المدارس والمكتبات في النهوض بالحركة العلمية.

أما في الفصل الخامس: فهو عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وتحدثت فيه عن فاس كمركز أساسي للصناعة في بلاد المغرب، وعن الصناعة الحربية، ثم تحدثت عن الزراعة والتجارة الداخلية والتجارة الخارجية، وعن الجهود والتي بذلها المرينيون لتأمين الطرق وحماية التجار وبضاعاتهم من أخطار الطريق، كما تحدثت عن عناصر السكان في فاس وهم (البربر، العرب، والاندلسيون، والأتراك الغز، والروم، واليهود) والمكانة التي تمتع بها اليهود في العصر المريني فتولوا مناصب في قصر الحكم ثم وصلوا إلى الوزارة، وكيف تآمروا على الدولة المرينية وأسهموا في سقوطها. كما تحدثت عن زى السلاطين والعلماء وعامة الناس، وكذلك زى المرأة المغربية، ثم تحدثت عن بعض احتفالاتهم.

أما الفصل السادس : عن اليهود في العصر المريني :، وهو من الفصول المضافة إلى هذا البحث المختصر عن مدينة فاس. وقد تبيّن في هذا الفصل أنّ اليهود استغلوا الدولة المرينية، وعبثوا بكل زاوية توفرت امامهم، مسخرين كل شيء من أجل الربح، ضاربين عرض الحائط مصلحة البلاد والعباد، ففي الجانب السياسي، ظهر أنّ اليهود ورغم عناية الدولة المرينية لهم قد أساءوا، وسعوا إلى خلق الأزمات السياسية في البلاد، وتسببوا بقتل شخصيات مرينية عرفت بولائها للدولة، رغبة منهم في التفرد والهيمنة على سلاطينها.وزيادة على ذلك فقد عملوا في الخفاء على الاطاحة ببعض سلاطينها غير هيابين للنتائج التي

يمكن أن تحصل جراء ذلك الاقتتال، المهم عندهم أن يزيحوا ذلك السلطان المريني الذي استجاب لمصلحة البلاد ووجد أنّ اليهود قد عبثوا في وظائف الدولة فنحاهم عنها.

وكان للناس الأثر البالغ في قيام ثورة شعبية في العاصمة فاس أطاحت بآخر سلطان مريني بعد أن قبل هو بتعيين وزيرين وصاحب شرطة منهم.

أمّا في الجانب الاقتصادي فقد توصل الفصل الى نتائج منها، أنّ اليهود لم يمارسوا أية مهنة في الدولة المرينية إلّا بقدر ما تحقق لهم من ربح، وما فيها من وسائل يمكن لها أن توصلهم إلى تلك الغاية، فزيفوا في النقد، وتعاملوا بالربا، ومارسوا الحيل في المهن التي اشتغلوا فيها رغم التحذير والوعيد .ابتعدوا عن المهن التي تحقق كسبًا حلالاً كالزراعة.

وكان لاقتراب اليهود من مقاليد الحكم ومن ثم تمكنوا من السيطرة على رقاب الأهالي، إذ انفجرت الثورة التي اشتملت مختلف أرجاء فاس، مما اضطرهم إلى مبايعة سلطان آخر وهو (الشريف أبي عبد الله محمد بن علي الإدريسي نقيب الأشراف بفاس) وكان ذلك بشهر رمضان عام (869هجرية / 1465ميلادية) وبذلك انتهت دولة بني مرين.

الفصل السابع والأخير : فهو عن الحركة العمرانية التي شهدتها المغرب في العصر المريني والمدن الجديدة التي أقام المرينيون بعضها لغرض عسكري إضافة إلى المنشآت العامة من مساجد ومدارس وفنادق وقناطر وغيرها، والتي تعكس الحضارة المعمارية التي بلغتها الدولة المرينية.

أرجو أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة المتواضعة وإن كانت أحس بالتقصير في هذا البحث ؛ إذ هناك جوانب لم أتطرق إليها وذلك لضيق مجال البحث، وأتمني أن ينال هذا البحث المتواضع قبول أستاذتي الدكتورة سامية توفيق، شاكرة لها إتاحة هذه الفرصة لكتابة هذا البحث عن مدينة زرتها فأحببتها واحترمتُ صمودها وحفاظها على أصالتها مع أخذها بالجديد، بل زاوجت بينهما وقاومت الجديد باغراءته المادية وبريقه الباهر في حين ضعفت أمام هذه الإغراءات جميع المدن الإسلامية بلا استثناء، فتحية من الأعماق لفاس وأبناء فاس.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

سهيلة زين العابدين حماد

الفصل الأول

قيام دولة الادارسة (172- 305هـ)

كيف وصل إدريس بن عبد الله بن الحسن إلى بلاد المغرب؟

عند قيام الدولة الأموية تحالف العباسيون مع العلويين ضد الدولة الأموية، ولم يحددوا لمن تكون الخلافة، إلا أن العباسيين تجاهلوا العلويين واستأثروا بالخلافة مما أثار غضب العلويين. ففي سنة 145هـ خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن حسن(السبط) بن علي بن أبي طالب، المعروف بالنفس الزكية في الحجاز على أبي جعفر المنصور، مطالبا بحقه في الخلافة، فأجمع أهل الحجاز على نصرته، واستولى على المدينة، ثم تغلب على مكة، وجرت بينه وبين المنصور رسائل طويلة في أحقية كل منهما بالخلافة، أوردها ابن الأثير، والطبري، وابن خلدون. ثم بعث محمد أخاه إبراهيم إلى البصرة لنشر دعوة محمد بن عبد الله بن الحسن في العراق، فتغلب إبراهيم على البصرة والأهواز وفارس.وكان محمد قد استعمل محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله على مكة، والقاسم بن إسحاق على اليمن، وموسى بن عبد الله بن على الشام. ولما بلغ المنصور خروج محمد بن عبد الله بن الحسن سير جيشا بقيادة اخية عيسى بن موسى إلى المدينة لمقاتله محمد والقضاء على حركته. فخندق محمد بن عبد الله على نفسه في المدينة، ولكن أهل المدينة تخلوا عنه، وبقي في قله قليلة من الناس، وظل يقاتل جنود عيسى بن موسى حتى استشهد في 14 رمضان 145هـ. وكان محمد بن عبد الله بن الحسن قد بعث محمد بن الحسن عامله على مكة، والقاسم بن إسحاق بأمرهما بالمسير إليه لنجدته فقدما، ولكنهما علما في نواحي قدن بمقتله، فلحق محمد بن الحسن بإبراهيم بن عبد الله في البصرة، أما القاسم فقد اختفي في المدينة حتى استؤمن، وأما موسي بن عبد الله فقد فشل في دعوته بالشام، وعاد إلى المدينة، وأما إبراهيم بن عبد الله فقد بادر الخليفة بمحاربته فاشتبك أنصاره مع جيش المنصور بقيادة عيسى بن موسى في بافمري (بين الكوفة وواسط) في قتال عنيف، انتهى بهزيمة إبراهيم ومقتله في 27 ذي القعدة سنة 145هـ.

ولم تفت هذه الهزائم المتوالية من عضد العلويين، فقد أخذوا ينتظرون الفرصة المواتية للوثوب على الخلافة العباسية بمكة والمدينة بزعامة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي ذي القعدة سنة 169هـ بسبب سوء معاملة عامل المدنية من قبل الهادي لهم، وبويع الحسين بالخلافة في المدينة، وأقام بها 11يوما، ثم سار إلى مكة فالتقي مع الجيش العباسي بقيادة سليمان بن المنصور بفخ، وهو وادي في طريق مكة، يبعد عنها بنحو ستة أميال، فانهزم العلويون هزيمة نكراء، وقتل في هذه الواقعة معظم أصحابه. وكان قد اشترك في القتال مع الحسين عماه إدريس بن عبد الله بن الحسن، ويحيى، ونجح إدريس في الإفلات مع المنهزمين من بني حسن، فاستتر بعض الوقت، وألح العباسيون في طلبه، " فخرج به راشد، وكان عاقلا شجاعا ذا حزم

ولطف، في جملة الحاج، مناحشا عن الناس، بعد أن غير زية وألبسة مدرعة وعمامة غليظة، وصيره كالغلام يخدمة، وإن أمرة ونهاه أسرع في ذلك، فسلما ودخلا مصر ليلا".

ويختلف المؤرخون في رواية الطريقة التي تمكن بواسطتها من الوصول إلى المغرب الأقصى سالما؛ إذ يروي البكري رواية تختلف عما رواه ابن الأثير وابن خلدون، إذ يرويان أن الذي ساعد إدريس للهرب إلى مصر إلى المغرب هو صاحب بريد مصر واضح يرويان أن الذي ساعد إدريس للهرب من مصر إلي المغرب هو صاحب إلي مصر فأتاه إلي الموضع الذي كان فيه وساعده على الفرار إلي المغرب، فحملة على البريد إلي المغرب الأقصى هو مولاه راشد، فنزلا بوليلى من أعمال طنجة وكان ذلك سنة 172 هـ، والذي يؤكد صحة هذه الرواية أنّ الهادي عندما بلغة الدور الذي قام به واضح أمر بضرب عنقة وصلبه.

ونزل إدريس في وليلى على زعيم أوربة وعرفهم بإدريس وبنسبة فاستقبلوه بالترحاب وبايعوه بالإمامة وذلك في منتصف رمضان سنة 172 هـ فكان ذلك بداية الدعوة العلوية في المغرب. وبعد جهد ليس بالسير عهد شيوخ القبائل إلي إدريس بحكم وليلى وزعيم الجناح الغربي من قبيلة أوربة، وتبعه بعض أفراد القبائل الصغيرة المقيمة في تلك النواحي سلأو حربا امتد سلطانه في أقل من عام إلي بقعة كبيرة في الشرق الأقصى.

الأوضاع السياسية في المغرب عند قيام دولة الأدارسة

بعد موت موسى بن نصير والي إفريقية، صارت الخوارج تقصد بلاد المغرب وتنشر مذهبها فيه وقد أساء عمر بن عبيد الله بن الحجاب على طنجة – السيرة فظلم المغاربة فأعلنوا الثورة على الخلافة بتحريض من الخوارج سنة 122هـ. فكانت هذه الثورة أول ثورة مغربية على الخلافة العباسية.

وتمكن الخوارج الأباضية من تكوين دولة لهم في تاهرت بالجزائر هي الدولة الرستمية (144هـ– 296هـ) وقضى عليها الفاطميون.

كما تمكن الخوارج الصفرية من تكوين دولة بني مدار في سجلمانسة (138هـ– 297هـ) وزعيهما المؤسس سوادني يسمي عيسى بن يزيد وقضى عليها الفاطميون وتوجد في تامسنا بالمغرب الأقصى دولة بني صالح (125هـ– 455هـ) وهي دولة بربرية خالصة أقامتها قبيلة بربرية هي برغواطة، وكانت اللغة السائدة فيها هي اللغة البربرية، وكان لها مذهبها الديني الخاص بها، وكانت نهايتها على يد الصنهاجيين والزناتيين والمرابطين.

كما أقام هارون الرشيد دولة الأغالبة في القيروان (184هـ- 296هـ) وذلك لمقاومة خطر الأدارسة وسقطت على يد الفاطميون. وكانت سنية.

وأمام هذه القوى السياسية المتعددة المذاهب قامت دولة الأدارسة واستمرت حوالي قرنين ونصف (172 - 305 هـ).

الدولة الإدريسية

لما أسس إدريس الأول دولته في المغرب الأقصى، توجه نحو الغرب الأوسط كي يفتح لدولته طريقا إلى الشرق، فزحف في منتصف رجب سنة 173 هـ في جموع مطفرة وغيرهم ونزل على تلمسان وصاحبها يومئذ محمد بن خزر من ملوك زناتة فأطاعه وسلم له المدينة، فدخلها إدريس من غير حرب، فأقام بها أشهرا بني فيها المسجد الأعظم وذلك في صفر سنة 174هـ. ومات سنة 177هـ ودفن في مدينة زرهون. وينسب المؤرخون إلى الرشيد بأنه لجأ إلى التآمر للتخلص من غريمة فأرسل طبيبا يقال له الشماخ قدم لإدريس دواءا فيه مادة سامة قضى عليه.

حكم إدريس الثاني (186- 213هـ)

بعد وفاة إدريس الأول حافظ راشد على استقرار حكم الدولة الجديدة في آل إدريس وقد ترك إدريس جارية له حاملا فاتفق إدريس مع شيوخ القبائل على الانتظار حتى تلد الجارية وأنجب ولدا، فظل راشدا وصيا عليه حتى بلغ العاشرة من عمره وولاه سنة186هـ حكم الدولة الجديدة.

ولي إدريس الثاني الحكم خلفا لأبية – وهو طفل – فكفله راشد، وأحفظة القرآن في طفولته وعلمه الحديث وعلوم اللغة وسير الملك وأخبار الماضين وأيام الناس وركوب الخيل والرمي أي انه أعده للملك خير إعداد. ولما تهيأ إدريس للملك أخذ راشد له البيعة من سائر القبائل سنة 186هـ، وكان إبراهيم بن الأغلب خشي على ملكه من دولة الأدارسة، وكان يري أن راشد هو المدبر الحقيقي لهذه الدولة، لذلك دبر مؤامرة للتخلص منه، على أن هذا العمل لم يؤثر ولم يضعف الأدارسة، بل تولي أبو خالد يزيد بن اليأس العبدي الإشراف على المملكة واستقرت الأمور وقويت الدولة.

ازدادت قوة إدريس بتوافد العرب علية، وقربهم ورفع منازلهم وجعل منهم بطانته دون البربر، وبذلك خرج إدريس من سيطرة البربر على الحكم.

تأسيس فاس سنة 192هـ

قرر إدريس الثاني بناء مدينة ليقيم فيها هو وخاصته وجيشه ووجوده مملكته، واشتري أرضا في موضع مناسب لبناء مدينة، وشرع ا لعمال في البناء موقع يقع بين جبلين صغيرين، على ضفتي نهر صغير وهو نهر فاس، وبدأ البناء في سنة 192هـ، بعدوه الأندلس وشيد إدريس سور المدينة، أما عدوه القرويين فإنها أسست سنة 193هـ، كما بني جامع الشرفاء. ويعتبر إدريس الثاني بحق المؤسس الحقيقي لدولة الأدارسة. وهي أول دولة كبيرة في المغرب منذ الفتح الإسلامي فقد تمكن من السيطرة على البربر سيطرة كاملة ومد حدود مملكته التي كانت تضم أوربة عبر جبال الأطلس الأعلى في جنوب مراكش حتى درعه ولذلك ضمن لنفسة الاستفادة من موانى المحيط الأطلسي والسيطرة على مضيق جبل طارق من طنجة وسبته قاعدتا الزحف إلى الأندلس.

صراع الأدارسة مع قوى السياسية في المغرب

الأدارسة والأغالبة

لما رأى إبراهيم بن الأغلب عظم قوة إدريس الثاني استمال اليه كبير أوربه أبا ليلي إسحاق بن محمود الأوربي، ويبدو أن إدريس تبين له ميل أبي إسحاق لابن الأغلب فقتله في أوائل ذي الحجة سنة 192هـ.

ويذكر ابن الأثير أن إبراهيم بن الأغلب أراد قتال إدريس فنهاه أصحابه، وقالوا له: اتركه ما تركك، فكتب اليه إدريس يذكر له قرابته من رسول الله – صلى الله عليه وسلم، فكف عنه. وعمل إبراهيم الأول على استمالة بهلول بن عبد الواحد المطغري وضمه لصف بني العباس، وكان بهلول هذا قائما بأمر إدريس الثاني بعد موت رشيد سنة 186هـ؛ إذ اتبع إبراهيم الأول الأسلوب الدبلوماسي بعد ما عدل عن محاربه الأدارسة بهجوم عسكري، فأخذ يراسل بهلول وكانت رسائله موشاة بالأشعار الجميلة ودعاه فيها إلى مبايعة هارون الرشيد الخليفة الشرعي ووعده ببذل مكافآت كبيرة، وتم الاتفاق واعترف بهلول بالخليفة فوجه أسلحته على إدريس الثاني – الذي لاحظ أن أنصاره انفضوا من حوله – وبعث بهلول عبر القيروان سفارة لمبايعة الخليفة في بغداد، وقدم إبراهيم بن محمد الشيعي – وهو صديق قديم شارك في تأسيس الأمارة الأغلبية – إلى الرشيد أفراد الوفد، باسم إبراهيم الأول " سيف الخلافة بالمغرب "، وبفضل

إبراهيم الأول يبدو أن سياسية الرشيد المتصفة بالشدة على عكس العلويين وصلت إلى نتائج ملموسة مشجعة، ومما يجدر ذكره أن بهلول الطغري يعني رئيس مطغرة الذين قادهم مسيرة وحملوا في الماضي عاليا مشعل المذهب الخارجي.

وفي حوالي سنة 102هـ اصطلح إدريس الثاني مع ابن الأغلب وعينت الحدود بينهما بوادي (شلف) وعقد على المغرب الأوسط لابن عمه محمد سليمان وكر راجعا إلى العاصمة.

صراع الأدارسة مع الخوارج

من أهم انجازات إدريس الثاني القضاء على الخوارج الصفرية الذين أضعفوا بلاد المغرب سياسيا واجتماعيا واقتصاديا. أما خوارج بني مدرار والدولة الرستمية فقد تعايش إدريس معهما سليما. أما عن علاقة الأدارسة مع دولة بني صالح الصفرية في تامسنا فقد قنع الأدارسة بولاتهم الشكلي لهم وتركوهم يحكمون بلادهم مستقلين مع الحفاظ على حسن الجوار وتبادل العلاقات والمنافع التجارية، إلا أنه في القرن الثالث للهجرة ثار عبد الرزاق الصفري على الأمير الإدريسي علي بن عمر بن إدريس الثاني ونجح في ثورته حتى استولى على فاس، واستدرها يحيى بن إدريس وملكها ورجع الأمر إلى بني عمر بن إدريس وملكها وعاد استوصى عليها موسى بن أبي العافية، وأجلى موسى بن إدريس أجمعين عن مواضعهم وصاروا في مدينة حجر النسر مقهورين.

العقائد في عصر الأدارسة

كان الأدارسة في أول أمرهم شيعة زيدية، وكان عبد الله والد المولى إدريس الأول يعتبر من الطبقة الثالثة من طبقات المعتزلة، ثم غلبت السنة المالكية عندما انتشر مذهب الإمام مالك.

الحركة العلمية في عهد الأدارسة

شهدت فاس أول حركة علمية منظمة وذلك نتيجة لوفود الأندلسيين القرطبيين الواردين على المولى إدريس بعد وقعة الربض الحكم بن هشام ومن علماء قرطبة ـ التي تعد دار العلوم والخزائن العلمية ـ الذين وفدوا على فأس عامر بن محمد بن سعيد القيسي الذي سمع عن مالك وسفيان والثوري، وأبو الحسن عبد الله الخزرجي.

ولا شك أنّ الحضارة المغربية ازدهرت في عصر الأدارسة؛ إذ كان المؤرخون يقارنون بين الأغالبة في تونس والأدارسة في فاس في المغرب ، عصر الأدارسة نحو قرنين تقريبًا ولم تستقر البلاد أثناءه لعدم تمركز الحكومة مع اتساع رقعتها مما أحدث خللًا اقتصاديصا، وكانت حدود الدولة تمتد حينًا إلى بلاد السنغال، وتتقلص أحيانًا في قلعة حجر النسر ونواحي البصرة وطنجة زيادة على الفتن المتوالية التي يوقدها أعداء الدولة من البرغواطيين والعبيديين والخوارج والأمويين والأندلسيين.

الفصل الثاني

خطط فاس

اختيار موضع فاس

مدينة فاس

عندما ازدحمت مدينة وليلى قرر الإمام إدريس الثاني في سنة 190هـ الانتقال من وليلى، واتخاذ مدينة يسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه أهل دولته. ووقع الاختيار على جبل يعرف بزالغ، وأعجب الإمام بارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوائه، وقرر أن يختط مدينته في السفح الشمالي لهذا الجبل. وشرع في البناء فعلا، وتم جزء من بناء السور ولكنه أتضح أن اختيار الموقع لم يكن موقفا فعندما نزلت السيول ذات ليلة على الجبل هدمت ما كان قد بني من السور، كما جرفت في طريقها ما كان حوله من خيام العرب، فرأى إدريس أن يترك البناء في ذلك الموضع وبذلك فشلت أول محاولة لبناء العاصمة الجديدة، وقام بمحاولة فاشلة ثانية في العام التالي.

ثم عهد إدريس بعد ذلك إلى وزيره عمير بن مصعب الأزدي بمهمة ارتياد موضع لتأسيس مدينته، فنزل على عين ماء سميت بعين عمير، ثم ركب إلى فحص سايس حتى وصل إلى العيون التي ينبع منها نهر وادي فأس فرأى عيونا كثيرة تزيد على ستين عينا، ورأى مياهها تفيض على الأرض فسيحة، فشرب من الماء فاستطابه، ثم سار في اتجاه الوادي حتى وصل إلى الموضع الذي قامت عليه مدينة فأس، فأس، فنظر إلى ما بين الجبلين فرأى غيضة ملتفة الأشجار، مطردة العيون والأنهار، وفي مواضع منها خيام من شعر يسكنها قوم من زواغة يعرفون ببني الخير، وقوم من زناتة يعرفون ببني يرغش، وكانوا على دين المجوسية، وكان بعضهم على دين اليهودية، وبعضهم على دين النصرانية. وكانوا بنو الخير ينزلون بعدوة القرويين، وبنو يرغش ينزلون بعدوة الأندلسيين وكانوا على خلاف دائم لتباين أديانهم، واختلاف نزعاتهم.

موقع مدينة فاس

أبواب وأسوار فاس

تقع فاس عند ملتقي طريقين رئيسيين حددتهما طبيعة الأرض احدهما يبدأ عند شواطئ البحر الأبيض المتوسط في طنجة أو سبته أو باديس القديمة، ويمتد إلى الصحراء وما وراءها إلى قلب القارة السوداء مجتازا سهل سايس الذي تقوم فاس عند طرفة، وسلسلة الأطلس الأوسط في أقل ممراتها ارتفاعًا" 6200 قدمًا" وهذا الطريق يتابع اتجاهه جنوبًا محاذيًا وادي زيز إلى واحة تفيلالت وهو طريق يكاد يكون خطا مستقيما ويمكن اجتيازه حتى في الشتاء، لان الثلوج لا تتساقط بغزارة على المناطق الجبلية التي يخترقها، والطريق الثاني يبدأ من المحيط الأطلسي إلى المغرب الأوسط أي الجزائر، وقد يختلف اتجاهه بين المحيط وفاس إلا أن اتجاهه بعد هذه المدينة تحدده طبيعة الأرض.

ولموضع فاس ميزة أخرى ذات أهمية خاصة في المغرب وهي غزارة مياهها، فالمياه التي تمتصها الطبقات الكلسية في الأطلس الأوسط تكون منطقة من المياه الجوفية تتفجر منها في سهل سايس ينابيع كثيرة تتجمع وتتحدى لتغذي نهر فأس أو على الأصح، أنهار فاس، يضاف إلى ذلك الينابيع التي تتفجر من العدوات الشديدة الانحدار التي حفرها نهر فاس مسيلا له، ومن مميزات فاس أنّها لو حوصرت وحول عنها مجرى النهر فإن سكان المدينة لا تنقطع عنهم المياه بتاتًا.

وتقع فاس في واد خصيب وكأنها واسطة العقد بين التلال المحيطة بها من كل الجهات، ويستطيع الناظر إليها من علو أن يشمل المدينة بأنظاره، وهي ماثلة أمام عينيه بمنزلها الصغيرة المتلاصقة وشوارعها وأزقتها

الضيقة. وأينما سرح الناظر بصره في أرجائها فلا يرى إلّا مساجد مبثوثة ومنائر شاهقة. واللون الأخضر هو الغالب على كل الألوان فيها، ولكثرة بساتين البرتقال والتين والرمان والزيتون بصورة خاصة تبدو المدينة زمردية اللون محاطة بعقود من الحدائق والبساتين، وبجبال خضراء داكنة متوجة بشجر الأرز والعبير وزهر عود السند.

ظلت أسوار وأبواب المدينة القديمة لفاس المعلنة تراثا إنسانيا عالميا منذ سنة 1981 من لدن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة/اليونسكو، صامدة في وجه الزمن بفعله العاتي، شاهدة على عظمة وشموخ وعراقة الحاضرة، ناطقة بإسهامها في تحصين فاس في وجه كل الغزاة الذين حاولوا اقتحامهما والسيطرة عليها، ذلك أنّ البنية الدفاعية للأسوار والأبواب والأبراج حالت في مرات كثيرة من محاولات اقتحامها. ولا يكاد يختلف الباحثون في مجال التاريخ والتراث وكذا المؤرخون حول أهمية الأسوار المرتفعة والأبواب الضخمة، حيث تتميز هذه الأسوار والأبواب بالإضافة إلى وظيفتها الدفاعية وصد الهجومات المتكررة على المدينة، بوظيفة جمالية أبدع فيها المصممون والمهندسون في نقش وزخرفة الجدران والأبواب، مما يؤكد عبقرية المهندسين المعماريين في ذلك الوقت في النهل من التراث الإسلامي والحضارة العربية حسب تحليل عدد من الباحثين في الموضوع.

فاس التي تأسست منذ أكثر من 12 قرنًا على يد المولى ادريس الأول، تعتد بوجود أسوار مرتفعة محيطة بكامل المدينة فضلا عن أبراج عالية (البرج الجنوبي، البرج الشمالي) كانت مهمتها تتجلى في الاستطلاع ورصد تحركات الغزاة عن بعد. وبالإضافة إلى ذلك شيّدت مجموعة من الأبواب الضخمة بمعمار جميل، تؤرخ لأحداث ومراحل زمنية لازالت خالدة في الذاكرة (باب الكيسة، باب الفتوح، باب بوجلود، باب المحروق...).

وغير بعيد عن المدينة القديمة، أسس المرينيون في القرن 13 ميلادي، المدينة البيضاء التي تعرف ب "فاس الجديد"، لا تفصلها عن المدينة القديمة إلّا حديقة جنان السبيل التاريخية التي أسست على يد السلطان العلوي المولى عبد الله في القرن الثامن عشر. وتزخر فاس الجديد هي الأخرى بمجموعة من الأبواب (باب الساكمة، باب الماكينة، باب أكدال، باب السمارين، باب الدكاكين...) أنشأت وفق نماذج متميزة بزخرفة ونقوش فريدة من نوعها تعبر عن الحس الفني والإبداعي للذاكرة المعمارية المغربية.

وشيّد جلالة المغفور له الحسن الثاني باب القصر الملكي بفاس الجديد المعروف ب "الباب النحاسي"، ليكون شاهدا على روعة الفن الفاسي وتراثه. ويتميز هذا الباب بدقة عناصره الزخرفية وتنوعها وتناظر أشكاله الهندسية، معبرا عن تلاقح الفن المغربي وفن الزخرف الأندلسي. وتزين أقواس هذا الباب ألوان زاهية تعبر عن إبداع الصانع، بالإضافة إلى أعمدة من الرخام الأبيض، والتيجان المزخرفة، والتكسيات البرونزية

المذهبة. ويعلو المدخل الأوسط للباب قوس أعلى من القوسين الواقعين على جانبيه، كما تكسو مصاريع الأبواب صفائح من نحاس تحمل نقوشا هندسية الأشكال، تتوسطها مطارق من نحاس بديعة الإتقان.

وتحيط بالقصر الملكي أسوار تاريخية تحكي صفحات من ذاكرة فاس الجديد منذ تأسيسها في القرن الثالث عشر ميلادي في عهد المرينيين. كما تتخلل هذه الأسوار أبواب ضخمة تدعمها أبراج مختلفة الأنماط. وتبقى هذه الأسوار شاهدًا على طريقة من طرق البناء المعروفة في المغرب باسم "الطابية". ولا تزال أسوار وأبواب القصر الملكي إلى اليوم قبلة للزوار والسياح لالتقاط الصور والاستماع إلى حكايات تخلد أمجادها.

وأقيم باب السمارين الذي يفصل حي الملاح وسوق فاس الجديد، عند تأسيس فاس الجديد، وهو باب ضخم ذو قوسين رئيسيين كان يدعى في بداية الأمر "باب عيون صنهاجة". وقد استمد الباب اسمه الحالي من حنطة السمارين، وهم الحرفيون الذين يثبتون بالمسامير صفائح من حديد تحت أظلاف البهائم. وتتوفر هذه المعلمة على برجين مهيبين بالجلال والعظمة. ومازال الباب إلى اليوم محافظا على واجهته الخارجية بقوسها المضاعف بقوس للزينة متعدد الفصوص.

ويستمد باب الساكمة الذي يوجد بفاس الجديد، اسمه من امرأة ورعة وتقية وهي آمنة الساكمة التي دفنت بجواره سنة 1737. ويلحظ الزائر في الواجهة الخارجية لباب الساكمة كتابة منقوشة على مربعات زليج خضراء تشير إلى مؤسسها بالإضافة إلى نقوش من آيات قرآنية وأبيات شعرية وغيرها. وإذا كان أثر باب الساكمة القديم قد انمحى اليوم، إلا أن ذكراه ما زالت ماثلة في ذاكرة أهل فاس الذين أطلقوا اسمه على الباب المجاور له.

وشي د الخليفة الموحدي الناصر "باب المحروق" الذي كان يعرف قديما ب "باب الشريعة" في مستهل القرن الثالث عشر، وذلك عندما أعيد تشييد أسوار المدينة، وهو يعتبر حاليا بمثابة مدخل رئيسي ل "الطالعة الكبيرة". وتصميم هذا الباب يكاد يكون مستطيلا، ومدخله منعرج ذو زاوية قائمة. ويتميز داخل الباب بوجود قبة تعلوه بنيت بالآجور التقليدي. ويبلغ علو أسواره الخارجية وكذا أسوار برجه حوالي 12 مترا، وهي مبنية بخليط التراب والجير المدكوك تعلوها شرفات هرمية. وقد خضع باب المحروق لعمليات ترميم وإصلاح أهلته ليصبح رواقًا للفنون.

ويظل "باب بوجلود" الأثري مدخلا متميزا إلى المدينة العتيقة، يعود بناؤه بداية القرن العشرين(1913). يسحر العين برقة زخارفه التي هي عبارة عن زخرفة متشابكة من الأرابيسك، زرقاء على الواجهة الخارجية، وخضراء على الواجهة الداخلية. ويتكون الباب من قوس مركزي ومن قوسين صغيرين جانبيين، وعلى مقربة من الباب، يوجد موزع الماء، وهو قطعة أثرية أساسية في الشبكة المائية للمدينة العتيقة.

ويسجل باحثون في التراث أن المغرب في أواخر القرن 13 كان ينفرد ببنية دفاعية عصرية على المستوى العالمي. وتجسد ذلك في أعظم معلمة عسكرية في تاريخ المغرب هي "باب أكدال" بفاس الجديد والذي لم يعد له أثر. ويحتوي على مختلف العناصر الدفاعية، ويتضمن أدوات دفاعية مختلفة ومتكاملة.

ولا تكاد تخلو شهادات مختصين في التراث المادي، من عبارات الثناء والإعجاب بالأسوار والأبواب وغيرها من المعالم التاريخية سواء الموجودة بمدينة فاس أو مدن مغربية أخرى، حيث جمعت ما بين الجانب الدفاعي ومظاهر الجمال والرونق والبهاء، ولعبت دورًا مهمًا على مر العصور والحقب الزمنية المختلفة، كما وثقت لأحداث ستظل خالدة في الذاكرة المحلية والوطنية[1].

تخطيط فاس

عندما رجع عمير إلى إدريس واعلمه بما وقع علية من الأرض وما استحسنه من كثيرة مياهها وطيب تربتها ورطوبة هوائها وصحتها واعتدال الهواء. فأعجبه ما رآه من ذلك، وسال عن مالك الأرض فقيل له قوم من زواغة يعرفون ببني الخير، فقال إدريس: هذا فأل حسن، فبعث إليهم واشتري منهم مواضع المدينة بسته آلاف درهم.

فأقام معسكره في مكان يسمي كرداة، وما زال يحمل هذا اسم على الضفة اليمنى للنهر وأحاطة بسياجات من الخشب والقصب، لان الوحوش لم تكن منعدمة في هذا الوادي الكثيف، خصوصًا منها الأسود والخنازير الوحشية. وبمجرد إقامته هناك أمر بالشروع في أشغال البناء، وذلك في ربيع الأول عام 192هـ أي 4 يناير 808م. فشيد سورا مستديرا مبتدئا من الجنوب؛ ثم أمر ببناء المسجد قرب بئر وهو جامع الأشياخ الذي دشنه بخطبة. وبعد سنة من ذلك، أي في أول ربيع الثاني عام 193هـ يناير سنة 809م، تولى بناء مدينة أخري على الضفة اليسرى للنهر، مع بناء سور أخر مستدير ومسجد أخر هو جامع الأشراف، وقيصرية. وشيد في المكان الذي كان قد نصب فيه خباءه أثناء بناء هذه المدينة الثانية قصرا اتخذه دار مقام وأطلق عليه منذ ذلك الحين اسم دار القيطون. وكان في أثناء ذلك قد أمر الناس ببناء الدور والغرس، ونادى فيهم أن كل من بنى موضعا أو اغترسه قبل تمام السور فهو له هبة من الله تبارك وتعالى. ولما فرغ إدريس من بناء أسوار المدينة (القرويين) وجامع خطبتها، انزل الوافدين عليه من الأندلس بالعدوة الشرقية، فسحبت لذلك بعدوة الأندلس، وانزل الوافدين عليه من القيروان بالعدوة الغربية منها فسميت لذلك بعدوة القرويين. ثم أمر الناس بزيادة البناء والغرس، فبنى الناس الدور والمساجد في القرويين، وغرسوا جانب الوادي من منبعه بفحص

[1] https://alfania.ma/2019/08/16/14830 /.

سايس إلى مصبه في نهر سبو بأنواع الأشجار، وعمرت الأرض بغرس الأشجار ومختلف أنواع المزروعات، وزاد العمران وقصد الناس فاس (يقصد القرويين) ولما كملت المدينة واستقامت حال رعيته فيها خطب في الناس بجامعها.

الاختلاف حول تأسيس فاس

وهذا ما أثاره المستشرق ليفي بروفنسال؛ إذ تساءل لماذا بني إدريس الثاني مدينة نائية في نفس الموقع، بعد مرور سنة على تأسيس الأولي دون أي تبرير لهذا القرار المدهش ؟ وكيف استطاع هذا الإمام الصغير الذي لم يكن يتجاوز من عمره 17 عاما أن يقوم بتنفيذ مشروع ضخم، وهو إنشاء مدينتين مختلفتين في مكان واحد ؟

ولماذا آثر إدريس إيجاد تعارض عنصري وسياسي واجتماعي لمدينتين متماثلتين. ويجيب عن السؤال الأول المستشرق روجي لوطورنو من خلال روايات لأبي بكر الرازي، ولابن سعيد (من القرن الثالث عشر) ولأبي الحسن النوفلي ذكرها البكري.

فيقول الرازي: أنّ إدريس بن عبد الله دخل المغرب في رمضان سنة 172هـ هاربا بنفسه من أبي جعفر المنصور. فنزل موضعا يقال له دليلي بوادي الزيتون. فاجتمعت إليه قبائل من البربر، فقدموه على أنفسهم وبني مدينة فأس وكانت أجمة شعراء، ولما احتفرت أساساتها ألقي في بعضها فأس فسميت بمدينة فأس، وسكنها البربر. فلم تظل أيامه حتى هلك سنة 174هـ وترك جارية حاملا منه فولدت بعده ابنا سمي بإدريس بن إدريس ملك بعد أبيه مدينة فأس، وطالت مدته وتوفي شهر ربيع الأول عام 213هـ.

وقال ابن سعيد في المغرب: وهي: فاس مدينتان إحداهما بناها إدريس بن عبد الله أحد خلفاء الأدارسة بالمغرب وتعرف بعدوة الأندلس، والأخرى بنيت بعدها وتعرف بعدوة القرويين.

أمّا رواية أبي الحسن النوفلي فقد ذكرها الجغرافي البكري، يقول: إنّه في عام 192هـ /808 م جاء إدريس الثاني ليقيم بمدينة فاس في عدوة الأندلس. (إذا كانت فاس موجودة آنذاك)، فأقام بها شهرًا، وكانت عدوة القيروانيين لهذا العهد أرضا مليئة بالأشجار تحيط بها خيام قبيلة زواغة فاستدعوا إدريس، فدخل إلى أرضهم وأسس مدينة القرويين عام 193هـ وهو دليل أخر على أن مدينة فاس كانت موجودة قبل عام 192هـ.

وأيد هذه الروايات السكوكات النقدية التي تعرف منها اثنتان، واحدة محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس، والاخري في متحف خارخوف، الأولي مؤرخة بعام 189هـ/ 805م، والثانية بعام 185هـ / 801 م، أي أنهما معا سابقتان للتاريخ لتأسيس فأس. لكن القطع النقدية المضروبة باسم إدريس الثاني بعد عام 192هـ / 808 م تحمل علامة " العالية " لا مدينة فأس.

ويؤل المستشرق ليفي بروفنسال هذه الروايات بالآتي:

1- أن أول مؤسس لفاس هو إدريس بن عبد الله، إدريس الأول، لا ابنه، كما تسوقه الرواية التقليدية.
2- أسست المدينة عام 172 هـ / 789 م، بناها البربر وعمروها ذلك ما تتفق عليه جميع النصوص الآنفة الذكر، ومن جهة أخري فإن التسمية الحديثة للأماكن ما زالت محتفظة ببعض الآثار لهذا الأصل غير العربي الفاسي، ففيها أسماء كرواة، وواد مصمودة، وأشنيخن، وتامدارت، وهي ألفاظ بربرية بلا جدال.

وهنا أقول: إنّ التأويل الأخير يفصح عن جد واجتهاد المستشرق ليفي بروفنسال لإثبات أنّ فاس بنيت في عهد إدريس الأول، وذلك ليثبت أن الذين بنوا فاسا عربًا وإنما البربر لان معروف أن إدريس الثاني اعتمد في دولته على عناصر عربية فالذين بنوا فاسًا عربًا إن قلنا إنّها بنيت في عهد إدريس الثاني، أما استدلاله بالأسماء البربرية، فهذا ليس دليل على أنّها بنيت على أيدي البربر، لان شعب المغرب أساسا هو شعب البربري وأسماء القبائل البربرية طبيعي أن نجدها في المدن المغربية.

ثم أنّه لو كانت فاس قد أسسها إدريس الأول فمن أين جاءت الروايات على أخطاء إدريس الثاني في اختيار الموقع ولا اختار موقع فاس الذي حدده والده إدريس الأول ؟

لذا فإنّ أرجح الروايات التي تقول أن إدريس الثاني هو المؤسس لمدينة فاس، وأنّ إدريس الأول توفي في وليلي ولو كانت عاصمته فاس لتوفي فيها، ثم أنّه لو فرض إنّ إدريس الأول هو الذي بني فاس الأولي فهذا أمر صعب خلال فترة إمامته القصيرة.

أسوار وأبواب فاس

لقد جعل لعدوة القرويين 6 أبواب هي:

1- باب إفريقية.
2- باب سعدون.

3- باب الفرس.
4- باب الفيصل.
5- باب الفرج.
6- باب الحديد.

أما عدوة الأندلس فجعل لها خمسة أبواب هي:

1- باب الفوارة.
2- باب مقابل باب الفرج.
3- باب أبي سفيان.
4- باب الكنيسة.
5- باب عدوة الأندلس.

خطط المدينة

وبعد الفراغ من بناء الأسوار قسم إدريس الأرض المحيطة بالمدينة مما يلي الأبواب مباشرة على قبائل العرب والبربر، ويحدد ابن أبي زرع موضع قبائل العرب، إذ نزلت القيسية بإزاء الأسوار الجنوبية لعدوة القرويين، ما بين باب إفريقية وباب الحديد، ونزل اليحصبيون على حذائهم بإزاء الأسوار المقابلة من الجهة الاخري، بينما نزلت الازد فيما بينما على طول الأسوار الغربية عن قبائل البربر من صنهاجه ولواته وأشيخان فلا يحدد مواضعها، ويقول إنّ كل قبيلة منها نزلت بناحيتها، والظاهر أنّ البربر كانوا قد نزلوا من قبل على الضفة الشرقية في عدوة الاندلسيين، فابن أبي زرع يذكر أنّ إدريس بن إدريس انزل جميع أجناده وقواده، وكذلك عدده وعتاده من الخيل والإبل والبقر في عدوة الأندلس، ولم ينزل معه بعدوة القرويين غير مواليه وحشمه، وسائر رعيته من التجار والصناع والسوقة، وعلى هذا الأساس يفسر صاحب القرطاس بقاء مدينة فأس في شكل مدينتين طيلة أيام إدريس وعلى أيام ولده وحتى ملك الزناتيين.

وبدأ بإقامة المسجد الجامع الذي عرف فيما بعد بجامع الشرفاء، ثم بني دار الأمارة التي عرفت بدار القيطون. أي دار الفسطاط لأنّ الإمام ضرب في موضعها قيطونة أي فسطاطه أو قبته أول ما نزل، والى جانب المسجد بني القيساريه، وهي سوق المدينة المركزي كما أقيمت الأسواق والحوانيت حول الجامع من كل جانب. وحول هذا المركز الذي يمثل المدينة الحكومية، اتسعت المدينة الناشئة بسرعة بفضل تشجيع إدريس

بن إدريس الذي أمر الناس بالبناء وأعمار الأرض، فوعد بأن من ابتني موضعا واغترسه قبل تمام السور بالبناء كان هبة له، ولقد ساعد على سرعة عمران المدينة كثرة الأشجار التي وفرت للناس كل ما يلزمهم من الخشب للبناء، كما ساعد على سرعة نموها جماعات الوافدين على الإمام من المشرق والأندلس، فمن القادمين من المشرق جماعة من العراقيين الذين أنزلهم بناحية عين علون، وربما كان هؤلاء هم الثلاثمائة بيت من أهل القرويين، الذين اسكنهم إدريس معه فأعطوا اسمهم لهذا الجزء من المدينة أي عدوة القرويين، فأصبحت فاس قيروان المغرب الأقصى. ومن هذا الوجه كانت فاس العربية في عدوة القرويين، حيث انزل الإمام العرب معه، ولكن الحي الأخر لم يلبث أن تعرب بدوره، بعد ذلك بقليل، عندما وصل أهل ضاحية الربض من مدينة قرطبة بعد أن طردهم أمير الأندلس الحكم بن هشام حوالي سنة 202هـ، فلقد وصل هؤلاء في نحو ثمانمائة بيت نزلوا في عدوة الأندلس، وشرعوا بها في البناء يمينًا وشمالًا، فسمي الجزء الشرقي بهم، وأغلب الظن أنّهم عمروا هذا الحي على الطريقة الاندلسية، وتبالغ الروايات في المدينة واتساعها بسرعة، وتريد تجعل منها مدينة عالمية عقب بنائها مباشرة.

وتوسعت مدينة فاس في أيام يحيي بن محمد، وكثرت عمارتها وبناء ضواحيها الجديدة، فقد قصد إليها الناس، من الأندلس، وإفريقية، وجميع بلاد المغرب، فضاقت بسكانها، فبني الناس الارباض بخارجها، ولقد اهتم الأمير يحيي بتزويد عاصمته بالمباني ذات المنافع العامة، وخاصة الحمامات التي زهت بها مدينة فاس، وكذلك الفنادق التي أقيمت لخدمة الوافدين على المدينة من التجار وغيرهم. هذا ويذكر البكري أنّ بها عشرين حمامًا، وأكثر من ثلاثمائة رحى. ويقول ياقوت الحموي في معجمه: " وفاس مختطة بين ثنيتين عظمتين، وقد تصاعدت العمارة في جنبيها على الجبل حتى بلغت مستواها من رأسه، وقد تفجرت كلها عيونا تسيل إلى قرارة واديها إلى نهر متوسط مستنبط على الأرض منبجس من عيون في غربيها.

المساجد في فاس في عهد الأدارسة

مسجد الأنوار

مسجد **أو جامع الأنوار أو الأمغارات أو الأشياخ** كان أقدم مسجد في مدينة فاس بالمغرب .أسس إدريس الأول الجامع في أوائل القرن التاسع حين أسس المدينة. ويقع المسجد شمال شرق جامع الأندلس والذي يعتبر المسجد الرئيسي في المنطقة.

كان الجامع أول مسجد أسسه إدريس الأول سنة 808 عندما أسس المدينة القديمة بفاس .ويقع في ما يعرف الآن بحي أو عدوة الأندلس في الضفة اليمنى لوادي فاس. لم يكن للجامع مئذنة ولا بناءً يظهره بشكل خاص.

أخذ مسجد الأندلس مكان الجامع والذي تأسس بالقرب منه في 859–860 وسرعان ما أصبح المسجد الرئيسي للأدارسة .وبأمر من حامد بن حمدان الحمداني والذي كان الحاكم الفاطمي في فاس عام 933، تم نقل خطبة الجمعة من مسجد الشيوخ إلى المسجد الأندلسي ، مما أدى إلى تراجع أهمية الجامع. وتم في الوقت نفسه نقل *الخطبة* من مسجد الشريف أو الزاوية إدريس الثاني إلى مسجد القرويين.

وسمي بمسجد الأشياخ لمبايعة شيوخ القبائل الأمازيغية إدريس الأول خلال اجتماعاتهم معه بجوار البئر الذي تم بناء المسجد بالقرب منه.وكان اسم الأنوار هو اللقب الذي يطلق أحيانًا على إدريس الأول ولهذا السبب اتخذ المسجد أيضًا هذا الاسم، واستعمل مسجد الشيوخ في القرون اللاحقة كمكان صغير للصلاة وتم تغيير بناءه بشكل كبير من خلال الإصلاحات ،لا يزال هيكل الجامع قائماً في موقعه اليوم ولكن لم يبق سوى آثار للمسجد الأصلي.[1]

[1] .
https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B3%D8%AC%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%B1

الفصل الثالث

فاس في ظل المرابطين والموحدين والمرينيين

فاس في ظل دولة المرابطين (430هـ - 515هـ)

لمّا دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس سنة 454هـ، وأمر بهدم الأسوار التي كانت تفصل بين عدوتي القرويين والأندلسيين وجعلها مدينة واحدة وحصنها وأمر ببنيان المساجد في الشوارع فاس وأزقتها كما أمر ببناء الحمامات والفنادق والأرحاء والأسواق. واهتم يوسف بن تاشفين بمدينة فاس اهتمامًا كبيرًا على الرغم من اتخاذه مدينة مراكش عاصمة لدولته. وقد ازدهرت فاس في عهد المرابطين، وأصبحت بحق العاصمة الثانية للمغرب، ولقد وصفها الإدريسي في عهد المرابطين فقال: "ومدينة فأس قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى.. ومدينة فأس هي حضرتها الكبرى ومقصدها الأشهر، وعليها تشد الركائب، وإليها تقصد القوافل ويجلب إلى حضرتها كل غريبة من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة، وأهلها مياسير ولها من كل حسن أكبر نصيب وأوفر حظ.

ظلت فاس تحتل المكانة الثانية في المغرب كله بعد مدينة مراكش التي أسسها يوسف بن تاشفين في سنة 454هـ. وأقام بها قصر الحجر سنة 463هـ، وسورها علي بن يوسف سنة 520هـ. وظلت فاس خاضعة للمرابطين إلى أن ظهر الموحدون وتغلبوا على المرابطين.

فاس في دولة الموحدين [1](515- 674هـ/ 1121- 1275م)

وفي سنة 540هـ حاصر عبد المؤمن بن علي مدينة فاس، وقد تحصن بها يحيى بن أبي بكر الصحراوي، من فلول جيش المرابطين في وهران وأقام الموحدون على حصار فأس، وأهلها يقاتلونهم خارج البلد قتالًا عنيفًا، فعمد عبد المؤمن إلى وسيلة لإرغام أهل فأس على التسليم، فأمر بسد فاس بالبناء والخشب والحطب، ورفع التراب على الوادي سدا بعد آخر حتى احتبس الماء عن مجراه، ولما دخل عبد المؤمن مدينة فأس، أمر بفتح ثغرات واسعة بسورها، وقال " إنا لا نحتاج إلى سور، وإنما أسوارنا سيوفنا وعدلنا " وظلت فاس بلا أسوار إلى أن شرع الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور في بنائها، وأكلمة ابنة أبو عبد الله محمد الناصر عند زيارتة لفاس في سنة 595هـ، وأقام بها ثلاث سنوات تم بنى خلالها أسوار فاس وقصبتها الواقعة على الوادي ،وأقام بها بابًا سمي باب الشريعة الذي سمي بباب المحروق.

[1] . دولة المُوحّدين هي دولة إسلاميّة تأسَّست في عام 515هـ/1121م على يَد (ابن تومرت)، وتُنسَب إلى جماعة إسلاميّة تُؤمن بأنَّ الله -تعالى- هو وحده فوق التشبيه، وهم يُنزِّهونه عن كلِّ تشبيه له بالخَلْق، وقد ضمَّت دولة المُوحّدين في أَوْج ازدهارها مساحة جغرافيّة كبيرة؛ حيث شملت المغرب العربيّ، وامتدَّت من مصر إلى الأطلسيّ، بالإضافة إلى الأندلُس (إسبانيا حاليّاً)، واستمرَّ عهد الدولة إلى عام 674هـ/1275م

ولقد ازدهرت فاس في عهد المرابطين والموحدين ازدهارًا لم تشهده هذه المدينة من قبل، وتألقت تألقا جعلها جديرة بأن تكون عاصمة الفعلية للمغرب، وفي عصر هاتين الأسرتين. ويذكر عبد الرحمن المراكشي :" أنّ مدينة فاس هذه هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا ، وموضع العلم فيه ، أجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة ، إذ كانت قرطبة حاضرة الأندلس كما كانت القيروان حاضرة المغرب ، فلما أضطرب أمر القيروان بهجوم الهلاليين عليها ، واضطرب أمر قرطبة باختلاف بني أمية بعد موت أبي عامر محمد بن أبي عامر وابنه رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة ، فرارًا من الفتنة ، فنزل أكثرهم مدينة فاس ، فهي اليوم على غاية الحضارة ، وأهلها في غاية الكيس ونهاية الظرف ، ولغتهم أفصح اللغات في تلك الأقاليم ، ومازالت أسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب "

ثم يصف المراكشي مدينة فاس فيقول:" وما أضن في الدنيا مدينة كمدينة فاس، أكثر مرافق، وأوسع معايش وأخصب جهات، وذلك أنّها مدينة يحفها الماء والشجر من جميع جهاتها، وتتخلل الأنهار أكثر دورها زائدا على نحو من أربعين عينًا ينغلق عليها أبوابها، ويحيط بها سورها، وفي داخلها وتحت سورها نحو من ثلاثمائة طاحونه تطحن بالماء، ولا أعلم بالمغرب مدينة لا تحتاج إلي شيء يجلب إليها من غيرها إلا ما كان من العطر الهندي سوى مدينة فاس هذه، فإنّها لا تحتاج إلي مدينة في شيء مما تدعوا إليه الضرورة، بل هي توسع البلاد مرافق، وتملؤها خيرًا.."

فاس في عصر المرينيين (610هـ – 869 هـ)

باب الأمر شيده المرينيون سنة 1276م كمدخل غربي لفاس الجديدة.

بدأ المرينيون حياتهم السياسية بصراع طويل ومرير مع الموحدين أستثمر ثمانية وخمسين عاما، وكان لاشتراك بني مرين مع الموحدين في ميادين القتال في بلاد المغرب والأندلس والفضل الكبير في تعريف

المرينيين وإطلاعهم على كثير من الخبرات في مجالات الحرب والقتال، وأمتص المرينييون رحيق هذه الخبرات من بين صفوف الموحدين وأضافوا إليها قوتهم، وخبرتهم وجلدهم، وقد قام المرينييون مراحل هذا الصراع ببسالة وعزم منذ وطئت أقدامهم أرض المغرب الأقصى، وقد مر هذا الصراع بمراحل متعددة، أستطاع المرينيون بما لديهم من قوة ودراية بمجريات الأحداث أن يتفقوا على الموحدين، وقد أنتهي هذا الصراع بفتح مراكش عاصمة الموحدين وإعلان قيام دولة بني مرين.

وكانت العلاقات الأولى بين الدولة الجديدة وأهل فاس سيئة، فقد دخل السلطان المريني أبو يحيى إلى فاس عام 645هـ، وبعد نحو ثمانية عشر شهرا في شوال سنة 647 هـ أضطر إلى الخروج منها غازيا، فأغتنم السكان فرصة غيابة وثاروا لصالح الموحدين، ثم لم يستسلموا إلا بعد الحصار دام تسعة أشهر، ونصت الاتفاقية على أن الفأسيين سيدفعون مبلغا قدره مائة ألف قطعة ذهبية برسم التعويض، ولما تأخروا في أداء المبلغ أمر الأمير المريني بإعدام ستة من الأعيان المسؤلين عن الثورة.

فاس الجديدة

لعل هذه الذكرى السيئة هي التي أوحت إلي السلطان المريني أبي يوسف يعقوب فكرة تشييد مدينة جديدة، متميزة عن الاخرى ومشرفة عليها، لما تمكن أخيرا عام 674هـ من التفرغ إلى تنظيم فتوحاته. فقد تم استنصال من بقي من عقب الموحدين، وانتهت حملة عسكرية ضد نصارى اسبانيا بالانتصار عليهم.

فاس في عيون الرحالة ابن بطوطة

المعروف أن الرحالة ابن بطوطة معاصر للمرينيين وحديثة عن فأس اصدق حديث عن فأس في هذه الفترة فتحدث عن الرخاء الذي تعيشه فأس ورخص الأسعار فيها عاقدا مقارنة بين الأسعار فيها وبين الأسعار في مصر فيقول:" إن لحوم الأغنام بديار مصر تباع بحساب ثماني عشرة أوقية بدرهم نقرة، والدرهم النقرة ستة دراهم من دراهم المغرب، وبالمغرب يباع اللحم إذا غلا سعره ثماني عشرة أوقية بدرهمين، وهما ثلث النقرة، وأما السمن فلا يوجد في بمصر في أكثر الأوقات، والذي يستعمله أهل مصر من أنواع الإدام لا يلتفت اليه بالمغرب " ثم يقول:

" أما الخضر فهي أقل الأشياء ببلاد مصر، وأما الفواكه فأكثرها مجلوبة من الشام، وأمّا العنب فإذا كان رخيصا بيع عندهم ثلاثة أرطال من أرطالهم بدرهم نقرة، ورطلهم اثنتا عشرة أوقية، وأمّا بلاد الشام فالفواكه بها كثيرة إلّا أنّها ببلاد المغرب أرخص منها ثمنا ".

ويتحدث ابن بطوطة عن السلطان أبي عنان إذ كانت زيارته لفاس في سنة 1352م وهي فترة حكم أبي عنان ولقبة المتوكل على الله ومدة حكمه من (1351م –1358م) (752هـ– 759هـ) فيتحدث عن عدله فيقول:" أمّا عدله فأشهر من أن يسطر في الكتاب، فمن ذلك جلوسه للمشتكين من رعيته وتخصيصه يوم الجمعة للمساكين منهم، وتقسيمه ذلك اليوم بين الرجال والنساء، وتقديمه النساء لضعفهن، فتقرأ قصصهن بعد صلاة الجمعة إلى العصر، ومن وصلت نوبتها نودي باسمها، ووقفت بين بدية الكريمتين يكلمها دون واسطة، فإن كانت متظلمة عجل إنصافها أو طالبه إحسان وقع إسعافها، ثم إذا صليت العصر قرئت قصص الرجال وفعل ذلك فيها ".

ثم يتحدث عن مجلس السلطان فيقول:" ويحضر المجلس الفقهاء والقضاة فيرد إليهم ما تعلق بالأحكام الشرعية، وهذا لم أر في الملوك من يفعله على هذا التمام ويظهر فيه مثل هذا العدل ".

ثم يتحدث عن حلمه فيقول:" أما حلمه فقد شاهدت منه العجائب؛ فإنه أيده الله عفا عن الكثير ممن تعرض لقتال عساكره والمخالفة عليه وعن أصل الجرائم الكبار الذين لا يعفو عن جرائمهم إلا من وثق بربه وعلم علم اليقين معنى قوله تعالى:"والعافين عن الناس ".

ويتحدث عن انشغاله بالعلم فيقول:" يعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح، ويحضر لذلك أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم، فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم وحديث المصطفي – صلى الله عليه وسلم – وفروع مذهب مالك رضي الله عنه، وكتب المتصوفة، وفي كل علم منها له القدح المعلى "

فاس في عيون الرحالة ابن عابد الفاسي(965–1048هـ)

الرحالة يوسف بن عابد الفاسي هو من الأشراف الحسنيين ولد سنة 965هـ وتوفي سنة 1048هـ، وحديثه عن فأس في هذه الفترة أي بعد نهاية الحكم المرينيين، وحديثه انصب على مدرسه مصباح حول جامع القرويين التي تلقي العلم فيها وذكر أن عدد طلبة هذه المدرسة كان ثلثمائة من طلبة العلم والقرآن، ثم تحدث عن مدرسة الوادي التي انتقل إليها وهي حول جامع مدرسة الأندلس وقال عنه " جامع كبير إلى جهة مشرق المدينة إلى باب الفتوح الذي مقبور فيه الشيخ علي بن حرازم... وهذه المدرسة مدرسة الوادي مرصودة لمن جاء من طلبة العلم في مشارق مدينة فاس وكل واحد منهم ما يجئ إلا لمن فيها من طلبة العلم، وأنا دخلتها سنة أربعة أو خمس وثمانين في القرن العاشر، وأنا إذ ذاك في عمري إحدى وعشرين سنة، وكان الأستاذ

الذي فيها عبد القادر وهو أول من قرأت عليه في هذه المدرسة ". ثم يقول عن مدارس وخططها فاس:" فيها اثنا عشر مدرسة لطلب العلم، واثنا عشر خطبة (خطة)، واثنا عشر باب وفي كل باب ألف من الجند ".

الفصل الرابع

جامع القرويين ودوره في الحركة العلمية

الحركة العلمية في فاس قبل جامع القرويين

بدت في المغرب الإسلامي ثلاث مدارس إسلامية هي: مدرسة القيروان في إفريقية، ومدرسة قرطبة في الأندلس، ثم مدرسة فأس في المغرب الأقصى ". واستمر التنافس بين هذه المراكز نحو سبعة قرون متصلة.

ومما يجدر ذكره أنّ جامع القرويين ليس أول مركز علمي في مدينه فاس، لأّنها كانت قبل ذلك تزدهر بالعلم والفكر، ولعل ذلك هو الذي جذب علماء القيروان إليها لينضموا إلى موكب المعرفة في هذه العاصمة الخالدة.

بناء جامع القرويين (345هـ/ 859م)

جامع القرويين بمدينة فاس بالمغرب

جامع القرويين من أشهر المباني التي أقيمت في فأس على عهد الأمير يحيي بن محمد بن إدريس، والتي ظلت مفخرة العاصمة الإدريسية حتى يومنا هذا، فعم اتساع المدينة المزدوجة بعدويتها، ونشأة الأرباض الجديدة حواليها، فكان من الطبيعي أن يزداد اتساع كل من جامعيها العتيقين، وهما جامع عدوة القرويين المعروف بجامع الشرفاء وجامع عدوة الأندلسيين المعروف بجامع الأشياخ. بل وان تظهر الحاجة إلى بناء مساجد محلية جديدة تلبي حاجة المصلين الذين كانت أعدادهم تزداد حجم المدينة وكثرة الوافدين على أحيائها من كل أنحاء المغرب ومن الأندلس لهذا بني جامع القرويين سنة 245هـ / 859م على انه جامع محلي صغير.

صاحبة البناء فاطمة القيروانية

يحدثنا التاريخ أنّ فاطمة بنت محمد الفهري – من الوافدين إلى فاس من القيروان – يعود إليها الفضل في بناء وتأسيس " جامع القرويين " الشهير في فأس في أول رمضان عام 245هـ الموافق 30 يونيه سنة 859م أي بعد تأسيس فاس بواحد وخمسين عامًا، ثم بنت أختها مريم مسجد الاندلسيين على عدوة المقابلة.

وبقي جامع القرويين، والجامعة الدينية الثقافية الملحقة به مركزًا للنشاط الفكري والثقافي والديني قرابة الألف سنة، وبعد أن وسعه أبو يوسف يعقوب المريني صار يستوعب 22 ألف مصل، كما صار يدخل إليه من 17 بابًا منها بابان لدخول النساء.

أحد ال 17 بابًا لجامع القرووين بفاس

مكانة جامعة القرويين بين جامعات العالم

وتعتبر جامعة القرويين في العصر الحديث أقدم جامعة ثقافية في العالم فهي أقدم من جامعة بولون في إيطاليا التي تأسست عام 1119م، وجامعة أكسفورد البريطانية التي تأسست سنة 1229م، وجامعة السوربون الفرنسية التي تأسست في باريس سنة 1257م، وهكذا تعتبر جامعة القرويين أقدم جامعة في العالم قائمة الآن منذ إنشائها. وهذا الحقيقة اعترف بها أخيرا جميع المستشرقين في أوربا والغرب.

صحيح أن سبقها في العالم الإسلامي المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، فهو بحق أقدم جامعة في العالم على الإطلاق والذي خرج العلماء في مختلف العصور لمختلف الأقطار. وكان أساتذته هم أساتذة العالم أجمع يتقدمهم سيد المرسلين وخير الخلق أجمعين محمد ـ صلى الله عليه وسلم، ثم صحابته ـ رضوان الله عليهم، وصار تلامذته أساتذة العالم الذين انتشروا في مختلف الأمصار والبلاد لينشروا الدين الإسلامي ويعلموا علومه. ولكن دوره الآن للأسف ليس كما كان بالأمس. ثم يليه في الأقدمية المسجد الحرام فكان الأساتذة فيه من كبار الصحابة، ثم المسجد الجامع في البصرة وجامع عمرو بن العاص في الفسطاط، والجامع الأموي في دمشق ، ثم جامع عقبة بن نافع في القيروان، وجامع الزيتونة في تونس، ثم جامع القرويين في فاس، ثم الجامع الأزهر في القاهرة.

وهكذا نجد أن جامع القرويين هو الثامن من حيث ترتيبه بين الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي. وهو بترتيبه الثامن يعد أقدم في العالم بالنسبة للغرب، وهذا يبين كم كان المسلمين سابقين للأوربيين في العلوم والمعارف؛ إذ سبقوهم بستة قرون في تأسيس الجامعات.

بناء جامع القرويين بالمال الحلال الطيب

كان موضع هذا الجامع حين بنيت مدينة فاس فضاءً يعمل بها أصناف الجبي، وبها أيضًا أصناف من من الشجر، وكانت لرجل من هوارة ورثها عن والده، وعندما أهل القيروان إلى الإمام إدريس بن إدريس، بعيالهم وأولادهم، أنزلهم حول ذلك الموضع من عدوة القرويين التي نسبت إليهم، وينسب بناء الجامع إلى سيدة قيروانية من هؤلاء الوافدين، توصف بالبركة والصلاح، هي أم القاسم فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني، وكانت السيدة فاطمة قد استقرت في ذلك الموضع من عدوة القرويين بصحبة زوجها وأخت لها. وواضح من النص أنّ العائلة القرشية الأصل كانت موسرة ، وأنّها كانت قد حملت معها ثروتها من القيروان، فعندما توفي زوج السيدة فاطمة ورثت منه مالًا كثيرًا حلالًا طيبًا ليس فيه شبهة، فأرادت أن تصرفه في وجوه البر وأعمال الخير فعزمت على بناء مسجد.

هذا ويعلق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد على نص أبي زرع فيقول:" ونلاحظ أنّ إصرار النص هنا على أنّ المال الذي استخدم في بناء جامع القرويين كان حلالًا طيبًا، لا تشوبه شائبة حتى من بيع أو شراء مما يسترعي الانتباه فعلًا؛ إذ الحقيقة أنّ أهل المغرب وكذلك الأندلس، كانوا متشددين في أمر سلامه الأموال التي تخصص لبناء المساجد عندهم، بشكل لا نجد له نظيرا في المشرق. وكانت أحسن الأموال التي تبني

بها المساجد عندهم هي أموال المغانم المأخوذة في الجهاد، ممّا طهرته سيوف الشجعان وزكته دماء الشهداء في ميادين القتال، وهذا ما سيحدث عندما شرع في توسيع نفس الجامع، عندما غلب عبد الرحمن الناصر على بلاد العدوة (المغرب)، فبعث بمال كثير من أخماس غنايم الروم لهذه الغرض ".

وفي نطاق فكره الاستخدام المال الحلال الطيب الذي لا تشوبه شائبة ولا تناله شبهة، تقول الرواية أنّ حجارة الكدان التي استخدمت في بناء وكذلك الطابية (الملاط) أتت من نفس أرض الجامع حيث حفرت " السيدة فاطمة " في وسطه فصنعت كهوفًا، واقتطعت منها الكدان، وأخرجت منها التراب والحجر والرمل الأصفر الطيب، فبنت به الجامع المذكور كله حتى تم، ولم تدخل فيه من تراب غيره، والأمر كذلك بالنسبة للماء الذي استخدم في البناء ، فقد حفرت السيدة الصالحة في أرض الجامع بئرًا هي الموجودة حاليًا في الصحن. " فكان البناؤون يسقون منها الماء لبناء الجامع المكرم لم تصرف فيه سواء احتياطًا منها، وتحريًا من الشبهة وظلت فاطمة القروية صائمة إلى أن تم تشييد الجامع ".

حجم الجامع الأول وأقسامه

وبطبيعة الحال كان الجامع الذي بنته فاطمة القروية صغيرا؛ إذ احتوى على أربع بلاطات أي أروقة عرضية موازية لحائط القبلة وصحن صغير، وذلك حسب رواية أبي القاسم بن جنون في تفسيره في تاريخ مدينة فاس، وأمّا عن زرع الجامع فيرو صاحب القرطاس رواية تقول: " إن طول حائط القبلة وهو طول البلاطات، ما بين الحائط الغربي والحائط الشرقي للجامع كان يبلغ 150 شبرًا، وأنّ محراب الجامع كان في الموضع الذي تطل عليه الثريا على أيام المؤلف، في أوائل القرن الثامن الهجري (214) بمعنى أنّه كان في موضع منتصف بين الصلاة حينئذ، وتضيف نفس الرواية أنَّ السيدة فاطمة بنت في الجامع صومعة غير مرتفعة أي مناسبة لحجم البناء، وذلك في الموضع الذي كانت توجد فيه القبلة ".

الزيادة في الجامع على عهد زناتة

بقي جامع القرويين محليًا إلى أن انقضى ملك الأدارسة في فأس، وعندما آل حكم المدينة إلى زناتة تحت رعاية الأمويين في الأندلس، وضاق مسجد الشرفاء الجامع بالمصلين زيد في الجامع القرويين زيادة كبيرة ونقلت إليه الخطبة، بعد أن " صنعوا به منبرًا من الخشب الصنوبر " وذلك في سنة 345هـ.

الزيادة في جامع القرويين في عصر بني مرين

عادت فاس لتكون عاصمة في عهد بني مرين بعدما كانت مراكش عاصمة الموحدين والمرابطين، وقد اهتم سلاطين بني مرين كثيرًا بترميم المساجد وإصلاحًا وتزويدها باحتياجاتها حفاظًا على الرونق الحضاري لهذه المساجد، ففي عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق زود مسجد القرويين ببيلة بباب الحفاة طولها سبعة وعشرون شبرًا، وهي منشأة بالرصاص متصلة بخارج الباب، وفوق هذا الباب أشباك من الخشب فتحت فيه أربع خوخات، وارتفاع هذا الباب ستة عشر شبرا. وفي أيام ناظر الأمباس الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد ابن أبي الصبر فرش أمام هذا بالرخام الأبيض والأكحل، ويتدفق الماء من الجهة المعدة له نحو هذه البيلة، وينصب على رخام أبيض وأزرق وأحمر يغسل قبة الحفاة أرجلهم ثم يفور الماء بعد ذلك في قناة معدة لذلك وفي سنة 688هـ زود أبو عبد الله بن أبي الصبر ناظر الأمباس مسجد القرويين بفذة " فيها غرابة الصنعة ونفاسة الخشب وإتقان الإلصاق ودقة الخرط والنقش ما يقضي بالعجب " وكانت هذه الإضافات والإصلاحات تتم تحت إشراف كامل من سلاطين بني مرين بل إن بعضهم تبرع لإتمام هذه الإصلاحات من ماله الخاص، فالسلطان يوسف بن يعقوب تبرع بخلخال من الذهب زنتها خمسمائة دينار من الذهب، للمساهمة في إعادة بناء الحائط الجوفي لمسجد القرويين، وأشرف على إعادة بناء الحائط الفقيه القاضي أبو غالب الفيلي، وانتهى البناء سنة 699 هـ / 1299م /، وأضحت مساحته نحو ميل ونصف باعتبار إضافة أبنية الطلاب الملحقة به وله 13بابا.

الحركة العلمية

يعتبر العصر المريني من ازهي العصور التي مرت بها فأس وجامع القرويين؛ إذ شهدت البلاد في هذا العصر نهضة شملت جميع النواحي من علمية وفكرية واقتصادية واجتماعية وعمرانية، لذا فسأتحدث عن جامع القرويين " أو جامعة القرويين" وهو في ازهي عصوره، إلا أن لي وقفه مع عصر الموحدين والنظام التعليمي الذي وضعه الموحدون والذي بلا شك جني ثماره **العصر المريني**

كان المرينيون السباقين في جعل التعليم إجباري ، وقد وضعه عبد المؤمن، ويقوم هذا المنهج على انه يجب على كل من انضوى تحت راية الموحدين أن يتعلم الضروري من العقائد وما يتعلق بالصلاة، وقد جعلة عبد المؤمن حتما لازما على كل مكلف – الرجال والنساء والأحرار والعبيد– ورخص لمن يفهم اللسان البربري دون العربي أن يقرأ بلسانهم عقيدة ابن تومرت العربية – المرشدة – وأكد على الجميع في حفظ ذلك وتدبره

وملازمة قراءاته ومقاصده، كما أكد على العوام ومن في الديار في حفظ أم القرآن وما تيسر من القرآن وعم هذا القرار على جميع البلاد الخاضعة للموحدين ومن الكتب المقررة للدراسة: صحيح البخاري وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسند النسائي، ومسند البزاز الكبير، وموطأ مالك، وموطأ ابن تومرت، وسيرة ابن إسحاق بتهذيب ابن هشام، وكتاب سيبويه، والجمل بشرحه لأبي العبدري، وقامات الحريري.

وشرح أبي عمرو الغافقي على قصيدة الحصري في القراءات " ولب اللباب في مسائل الحساب لأبي الحسن أبي فرحون القسي، منظومة ابن الياسمين في الجبر وغيرها من الكتب.

وكانت هذه العلوم إلى جانب تدريسها في الجوامع الكبيرة مثل القرويين في فأس وجامع سبته وكذا جامعا مراكش ومكناس وجوامع كبريات المدن المغربية فقد كانت المدراس المنتشرة تعلم الصغار وتعدهم للتعليم في الجوامع الكبرى التي كانت بمثابة الجامعات الآن.

ومن العوامل التي ساعدت على النهضة العلمية في فأس هجرة العلماء من الأندلس إلى فأس في عهد الزناتيين الذين خلفوا الأدارسة، والذين ارتبطوا بالأندلس – رغبة منهم أو رهبة – بعلاقات وثيقة فكان الأثر الاندلسي فيه أوضح من غيره من المؤثرات، وهو الأمر الطبيعي. واغلب الظن أن مدينة الضفة الغربية لوادي فأس اشتهرت باسم عدوة القرويين نسبة إلى جامعها الذي صار أشهر مساجد المغرب الأقصى وأعرقها، بعد أن طغي بشهرته على جامع الأدارسة الحقيقي في المدينة، جامع الشرفاء.

عوامل نشاط الحياة الفكرية في عصر المريني (610 هـ-869هـ)

شهد المغرب الأقصى في عهد المرينيين حصاد قرنين من المجهودات العلمية بفضل جهود المرابطين والموحدين في مجالات الثقافية والعلم والأدب، وما أن جاء المرينييون حتى انطلقت الحياة الفكرية في عهدهم إلى آفاق أرحب وأوسع، أتاحت للعقلية المغربية مزيدا من النضوج. وقد دعم السلاطين بني مرين انطلاق الحياة الفكرية في عهدهم بدعائم أهمها:

1- أنّ سلاطين بني مرين لم يقيموا دولتهم على أساس أفكار دينية وعلى هذا الأساس لم يفرضوا على العلماء في دولتهم أن يتقيدوا بوجهة نظر معينة، كما رأينا في دولة الموحدين التي أجبرت الناس دراسة عقيدة ابن تومرت باللغتين البربرية أم العربية وكذلك موطأ ابن تومرت.

2- احتضن سلاطين بني مرين في مجالسهم العلماء على اختلاف مستوياتهم، وآرائهم وأفكارهم، بل لقد سمح المرينيون في كثير من الأحيان بتدريس آراء الموحدين في مدراسهم احتراما منهم لحرية الفكر.

3- أن المرينيين أوجدوا في المغرب الأقصى أكبر قاعدة فكرية وثقافية قامت في بلاد المغرب منذ فتح الإسلامي، وتمثلت هذه القاعدة في ذلك العدد الضخم من المدارس العالية المتخصصة التي انتشرت في أنحاء المغرب الأقصى على نحو لم يسبق له مثيل، دون تمييز المغرب، في المغرب الأوسط حين كانت تحت سلطة المرينيين.

4- لم يضع سلاطين بني مرين أمام العلماء المغاربة وغيرهم من علماء الأندلس وأدبائهم المهاجرين إلى المغرب الأقصى – تحت وطأة الزحف النصراني على ممتلكات المسلمين في الأندلس – أية عوائق تعوق إقامتهم في ربوع الدولة المرينية، والتمتع بكل المميزات التي يتمتع بها أقرانهم من العلماء المرينيين، وشغل بعضهم مناصب كبرى في الدولة المرينية كابن خلدون، وابن الخطيب، وابن الأحمر، وابن رضوان، وابن مرزوق، وابن جزي، المقري، وغيرهم من العلماء، وقد أدي ذلك بطبيعة الحال إلى تطعيم الحركة الفكرية في العصر المريني برصيد هائل وضخم من الثقافة الاندلسية المتنوعة. واستطاع بنو مرين بهذه الدعائم الأربعة تنمية الحركة الفكرية، وتعميق جذورها في المغرب الأقصى، حتى أصبحت فأس عاصمة للفكر في بلاد المغرب، إلى جانب كونها العاصمة السياسية للدولة، ويمكن استيعاب جوانب هذه الحركة الفكرية الواسعة التي أدت إلى ازدهار جميع العلوم.

أولا: العلوم الدينية

شهد العصر المريني ازدهار العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه، والتوسع في دراستها إلى مدى بعيد، مع الميل إلى التبسيط والتفريغ فيها، ودليل ذلك كثرة العلماء الذين نبغوا في هذه العلوم، ووفرة مؤلفاتهم، والذي يلفت النظر أن هذه العلوم تأثرت بالروح الدينية التي سادت المغرب أيام المرينيين، تلك الروح التي تشبعت بالمذهب المالكي، وأصبحت هذه العلوم تواكب هذا المذهب، حيث عكف العلماء وتلاميذهم على دراستها والتأليف فيها، فأبو محمد عبد الله الورياغي، وهو أحد كبار الفقهاء في العصر المريني كان يعرف المذاهب الأربعة ويقوم بتدريسها وترجيح مذهب مالك عليها.

التفسير والعلوم القرآن

اهتم العلماء والمفسرون في عصر المريني بدراسة القرآن الكريم باعتبار المصدر الأول للتشريع الإسلامي، واهتم سلاطين بني مرين أيضا بالقرآن الكريم وتفسيره وفهمه، فعلى سبيل المثال كان السلطان أبو عنان حافظا للقرآن عارفا بناسخه ومنسوخة، ويروى الكناني أن أبا عنان استدعي محمد بن إبراهيم

الصغار المراكشي وهو من علماء القراءات السبع، فكان يعارضه القرآن برواياته السبع. ومن العلماء الذين اهتم بتفسير القرآن الكريم محمد بن يوسف بن عمران الزوغي [ت 655هـ/1257م]، وكان محدثا حافظا له كتاب في تفسير القرآن، ومحمد بن محمد بن علي المعروف بابن البقال [ت 725هـ/ 1324م]، ومحمد بن علي العابد الأنصاري الفاسي [ت 762هـ/ 1362م] الذي اختصر التفسير للزمخشري، وجرده من مسائل الاعتزال، وابن البنا العدوي الذي كانت له موضوعات كثيرة في التفسير وحاشية على الكشاف للزمخشري، ومنهم أيضا الخطيب ابن مرزوق الذي كان مشاركا في تفسير القرآن، ومحمد ابن أبي البركات السكاك [ت 800هـ/ 1397م]. كما ازدهرت في العصر المريني أيضًا بعض العلوم المتصلة بالقرآن الكريم كعلم القراءات فكان من مشاهير هذا العلم أبو عبد الله الشريشي الحراز [ت718هـ/ 1415م]، وله تأليف عديدة في ميدان علوم القرآن منها " مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن " وله نظم آخر في رسم القرآن سماه " عمدة البيان "، ومن شيوخ القراءات في العصر المريني أبو الحسن علي بن سليمان الأنصاري القرطبي [ت 730هـ/ 1329م] ومن تآليفه التجويد ومختصره، والمنابع في قراءة نافع، وترتيب الأداء، والجمع بين الروايات في الإقراء، ومن الأساتذة في علوم القرآن، ميمون الفخار [ت 816هـ/ 1413م]، وكان أستاذًا فقهيًا، وله مؤلفات عديدة في علوم القران، ومن تلاميذ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الجاديري.

علم الحديث

ازدهر علم الحديث في العصر المريني، باعتبار أنّ الحديث هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، ومن أوائل علماء الحديث في ذلك العصر الحافظ عبد المهيمن الحضرمي الذي كان إمامًا في علم الحديث، وحجة في حفظه ورجاله، وكان محمد بن عبد الرازق الجزولي من علماء الحديث الذين تألقوا في مجلس السلطان أبي عنان حيث كان السلطان يأخذ عنه الحديث، ومنهم محمد بن عبد الرحمن التميمي الذي يروي الحديث بأسانيده ومتونه، ويعتبر ابن رشيد [ت 721هـ/ 1321م] شيخ المحدثين في العصر المريني؛ إذ كان فريد عصره جلاله وعدالة وحفظًا وأدبًا وسمتًا، واشتهر أيضًا في هذا المجال محمد بن سعيد بن محمد ابن عثمان الاندلسي [ت 778هـ/ 1376م] الذي ألف تحفة الناظر ونزهة الخاطر في غريب الحديث، وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن المعروف بالقباب [ت 778هـ/ 1376م] الذي كان له مجلس كبير في الحديث حضره لسان الدين بن الخطيب، ومنهم أيضًا يحيي بن أحمد

السراج [ت805هـ/ 1402م] الذي كان فقيهًا محدثًا مكثرًا في الرواية، انتهت اليه رواية الحديث ورياسته في العصر المريني.

الفقه

لقي علم الفقه في العصر المريني تقدمًا كبيرًا، يدل على ذلك كثرة الفقهاء الذين نبغوا وتفوقوا فيه في هذا العصر، والمؤلفات الكثيرة التي ألفت في مختلف فروع الفقه، ويرجع البعض السبب في نهضة الفقه في العصر المريني إلى ما تعرض له الفقهاء، وعلماء الفقه من الضغط والتحرش بهم في العصر الموحدي، الأمر الذي دعا الفقهاء إلى معاودة نشاطهم بقوة كبيرة في العصر المريني، التي كانت تعقد في هذا البلاط، كما تولى الفقهاء أرفع المناصب في الدولة في مجالات منها القضاء والخطابة والإفتاء، ولذلك امتازت كتاباتهم بكثرة الجمع والتحصيل وحسن التصرف والتعليل. ومن أشهر العلماء المشتغلين بالفقه في العصر المريني محمد بن محمد المعروف " بالمقري الكبير " (المتوفى سنة 750هـ/ 1349م)، وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجذامي الذي عرف بالقباب (ت 778هـ/ 1376م) وكانت له مجالسه في الفقه والأصول، وأخذ عنه الفقه جماعة من جملة العلماء كالشاطبي.

ثانيا: المواد العلمية

لم تكن الحياة الفكرية في الدولة المرينية قاصرة على العلوم الدينية، وإنما شملت أيضًا مختلف المواد العلمية الاخري، كاللغة والنحو، والتاريخ والسير والرحلات والجغرافيا والفلك والرياضيات، والفلسفة والمنطق والطب وهذه العلوم قامت بدورها في إذكاء الحركة الفكرية ودعمها في العصر المريني حتى أصبح التقدم في مجالاتها سمة من سمات هذا العصر.

اللغة والنحو

تابع علماء اللغة في العصر المريني الجهود التي بذلها علماء اللغة في العصر الموحدي، تلك الجهود التي كانت تستهدف التعرف على أسرار اللغة ومعانيها، وقد زاد من اهتمام العلماء في العصر المريني بعلوم اللغة، نشاط الحركة البحث في العلوم الدينية من تفسير وقراءات وفقه وحديث، وشعور العلماء الدارسين لهذه العلوم، بحاجتهم إلى دراسة علوم اللغة؛ إذ هي الأساس لفهم كثير من مسائل هذه العلوم ولذلك كان معظم في العصر المريني على صله كبيرة بالدراسات اللغوية، وأدى هذا بطبيعة الحال إلى دعم اللغة العربية وتقويم الأسنة في ذلك العصر. ومن هؤلاء العلماء أبو عبد الله محمد بن محمد

المعروف بابن البقال (ت 725هـ/ 1324م) كان له وافر من الأدب واللغة والبيان والمعروض، ومنهم أيضًا أبو عبد الله محمد بن الشيخ الكبير الذي كان له باع مديد في التاريخ واللغة والحساب والفقه والنحو والبيان والآداب. وممن برزوا في علوم اللغة محمد بن يحيي العبدوي المعروف بالصدفي كان إماما في العربية، وأدى الاهتمام باللغة وعلومها إلى نهضة كبرى في علم النحو فظهر عدد كبير من علماء النحو البارزين منهم محمد بن موسي (ت685هـ/ 1286م) الذي أظهر تفوقًا واضحًا في علم النحو بفأس، ومن كتب التي كان يهتم بتدريسها في فاس كتاب سيبويه، ويعتبر ابن آجردم اشهر علماء النحو في العصر المريني وهو صاحب المقدمة المشهورة باسم الآجردمية، ومحمد بن على بن حياتي الغرناطي النحوي المحقق (ت 781هـ/1379م) وعبد الرحمن بن صالح بن علي المكردي (ت807هـ/ 1404م) وهو احد النحاة المبرزين بمدينة فاس.

الأدب والشعر

شهد العصر المريني حركة أدبية واسعة ظهرت قويا متفوقة، ساعد على قوتها وازدهارها تشجيع سلاطين بني مرين وأمرائهم للأدباء والشعراء في دولتهم، وإجزالهم العطاء لهم فنبغ عدد كبير من الشعراء والأدباء في ظل البلاط المريني. واحتلوا مكانة مرموقة، ووظائف كبرى، فالشاعر أبو القاسم رضوان البرجي، تولى وظيفة الإنشاء بباب السلطان أبي عنان المريني ن وأعطى السلطان يعقوب بن عبد الحق الشاعر عبد العزيز الملزوزي، ومن الشعراء من أوكلت إليه مهمة الرد على الرسائل الشعرية التي كانت توجه إلى السلطان المريني أحيانًا من بلاط بني الأحمر في الأندلس، وكان من بين سلاطين بني مرين وأمرائهم شعراء موهوبون، ينظمون الشعر أن يغلب على قصائدهم القصر ومن هؤلاء السلاطين، السلطان أبو العباس أحمد المريني الذي تولى أمر بني مرين سنة 789هـ / 1387م، فهذا السلطان كانت له ميول أدبية وولع بالشعر.

التاريخ والسير والرحلات

تألق في العصر المريني عدد كبير من المؤرخين وكتاب السير والرحلات، وقد أرخ معظم هؤلاء للدولة المرينية، ومن هؤلاء المؤرخين ابن أبي زرع صاحب الأنيس المطرب، وابن عذارى المراكشي صاحب البيان المغرب، والجزنائي الذي ألف كتاب زهرة الآس في تاريخ بناء مدينة فأس، وابن خلدون ومؤلفة الضخم العبر وديوان المبتدأ والخبر، ولسان الدين بن الخطيب صاحب الإحاطة في أخبار غرناطة، وابن مرزوق الخطيب ومؤلف الضخم عن أبي الحسن المريني، والذي سماه المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن،

وقد تهيأ لهؤلاء الثلاثة، وابن خلدون وابن الخطيب وابن مرزوق، ما لم يتهيا لغيرهم من المؤرخين أحداث العصر المريني في أيامهم عن كتب؛ لذا حفلت مؤلفاتهم بكثير من المعلومات التاريخية القيمة عن الدولة المرينية، ومن مؤرخي العصر المريني أيضًا إسماعيل بن الأحمر، الذي أوى إلى كنف بني مرين، وتضمنت مؤلفاته كروضة النسرين، والنفخة النسرينية واللمحة المرينية، كثيرا من أخبار بني مرين ومعظمها مصاغ شعرا وهي تبين الأنظمة الإدارية في الدولة المرينية ومنه قوله:

تملكوا بكل أمر مغرب بالزاب من قبل دخول المغرب

ويضاف إلى هؤلاء المؤرخين الرحالة من أمثال العبدري صاحب الرحلة الشهيرة

الطب

وهو من العلوم التي لقيت رواجا كبيرا، لاهتمام المرينيين بصحة المواطنين في دولتهم، ولكثرة المارستانات التي أنشئت لعلاج المرضى والمصابين في عهدهم، ومن مشاهير العلماء المشتغلين بالطب، أحمد بن محمد بن يوسف الجزنائي المعروف بابن شعيب (ت 749 هـ / 1348 م)، تتلمذ ابن شعيب على يد يعقوب المدارس بتونس، فأخذ عنه الطب والهيئة، وسافر إلى غرناطة، وهناك قام بدراسة ضخمة عن تغيير الأدوية المتفردة. ومنهم أيضًا محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي (ت 768 هـ / 1366 م)، ومن الأندلسيين الذين عملوا بالطب في العاصمة المرينية فأس محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي، رحل هذا الطبيب إلى فأس، حيث تولى بها الإشراف على المارستان، كان ذلك في ربيع الثاني سنة 754 هـ / 1353 م في عهد السلطان أبي عنان المريني.

ومن المؤلفات الطبية المشهورة في العصر المريني، الكتاب الذي ألفه ابن الخطيب وعنوانه: " عمل طب لمن حب " هو مؤلف طبي كبير، تناول فيه ابن الخطيب الأمراض المختلفة مع ذكر أسباب كل مرض وأعراضه وطرق علاجه، ونظام الغذاء الذي يناسبه، كما يتحدث فيه عن مختلف أعضاء الجسم وطرق العناية بها وقد ألف هذا الكتاب سنة **(761/** *1359م).*

الفلسفة والمنطق

شهد العصر المريني نشاطًا في علمي الفلسفة والمنطق، ومن أشهر علماء المنطق ابن البناء العدوي الذي ترك مؤلفات عديدة في المنطق منها الكليات في المنطق وشرح عليه والقوانين فقد برز أحمد بن

محمد بن شعيب الكرياني، ومحمد بن سعيد بن محمد النجار الفاسي (ت 778 هـ / 1376 م) وهو الذي اختصر المقدمات لبن رشد، واختصار الحدود للشيرازي.

جامعة القرويين

هذه العلوم جميعها كانت تدرس في هذه الجامعة العتيقة؛ إذ كانت المدارس تدرس فيها العلوم الابتدائية بدءا من القرآن والكتابة والقراءة إلى مبادئ الحساب وغيرها، ثم يلتحقون بعدها بالجامعة. وأقدم مدارس فأس فهي مدرسة الصفارين التي أمر ببنائها أبو يوسف المريني عام 1280م وزودها بمكتبه ثرية وقد نقلت فيما بعد إلى جامعة مسجد القرويين، وعدت مدرسة العطارين أصغر مدرسة في زمانها ولكنها كانت من حيث الهندسة المعمارية من أجملها وأبهاها وكانت قائمة عند طرف سوق العطارين ومؤسسها هو السلطان أبو السيد.

ولعل من أكبر مدارس فأس مدرسة السلطان " بو عنان" المريني التي أسسها عام 1355م، وكان قد ألحق بها مسجدا للصلاة يتحلى بمنارة " مئذنة" لا مثيل لها في الجمال والأناقة.

أّما مدة الدراسة في جامعة القرويين تستغرق بين خمسة أعوام و 15 عامًا، وكان الطلاب يختارون وبمحض إرادتهم أساتذتهم الاختصاصيين كل أستاذ حسب اختصاصه في مادة أو أكثر، فيجلسون حلقات حول الأستاذ المستند بظهره إلى سارية من سواري المسجد وكان يدرس في هذه الجامعة علوم القرآن والتفسير والأحاديث النبوية والفقه، القانون العام، وقوانين الميراث، وعلوم اللغة العربية والمنطق ومختلف العلوم الطبيعية كالرياضيات والجغرافيا والفلك. وكان كل من السلطان أبي الحسن والسلطان أبي عنان يعنيان بتثقيف الناشئة والحدب على المسلمين والأساتذة وقد وجها كل اهتمامهما إلى تدريس القرآن الكريم والحديث والقانون وعلوم اللغة " كالصرف والنحو ".

أساتذة جامعة القرويين

لقد ضمت جامعة القرويين عددا من مشاهير المسلمين بين مدرسيها في مقدمتهم ابن خلدون ولسان الدين الخطيب. أما العلامة المؤرخ ابن خلدون الذي وضع أصول علم الاجتماع فقد كان يدرس في حلقته هذا العلم بالإضافة إلى إخبار الملوك والشعوب، وقد أفسح سلاطين المرينيين صدورهم لغيره من كبار الأساتذة القادمين من الأندلس وغيرها وأغدقوا عليهم الأموال ومن هؤلاء الأديب الشاعر لسان الأديب الخطيب وكان هاربا من بني الأحمر؛ إذ كان أبو عبد الله الخطيب وزيرا لبني الأحمر، وقد ولد في بلدة بلوشة القريبة من غرناطة، فأجاد سائر العلوم المتداولة في عصره كالنحو والفقه وعلم الكلام والخطابة والتاريخ والطب ونظم الشعر وموشحاته تعتبر في الدرجة الأولي بين الموشحات الناجحة والتي ظلت يغنى بها إلى عصرنا الحاضر، ومن هذه الموشحات الموشح الذي يبدأ مطلعه.

جادك الغيث إذا الغيث همي يا زمان الوصل بالأندلس

أبرز تلامذة جامعة القرويين

ومن مسجد وجامعة القرويين تخرج معظم علماء المغرب، وفيه تلقى العالم جربرت دي لوفرينه الثاني الذي أصبح فيما بعد سلفستر الثاني. وفيه تعلم (الصفر العربي) في علم الحساب وهو الذي نشر ذلك في أوربا، ودرس في جامعة القرويين أيضا على يد ابن الموشح الفيلسوف الرئيسي موسى بن ميمون اليهودي القرطبي الذي كان من أعظم الأطباء في عصره والذي غادر الأندلس إلى المشرق وعين طبيبا لصلاح الدين الأيوبي ثم عينا مدرسا بالقاهرة.

مكتبه جامعة القرويين

هذا وقد ضمت الجامعة الإسلامية الملحقة بالمسجد مكتبة غنية بالمخطوطات النفيسة، وقد أهداها السلطان المرينيين ألف مخطوط، ولكنها فقد وضاعت ولم يبق فيها سوى مخطوطات تاريخ ابن خلدون، ونسخة من مخطوطة ابن رشد.

هذا ولم تكن هذه المكتبة هي الوحيدة، فلقد حرص المرينيون على تدعيم العلم والعلماء، بإنشاء المكتبات اللازمة لهم، وكانت هذه المكتبات ركائز قوية للحركة الفكرية في الدولة المرينية، فأول سلاطين بني مرين يعقوب بن عبد الحق ن زود المدرسة التي أنشأها، والمعروفة باسم مدرسة الصفارين، بمجموعة فريدة من الكتب، ذكر بعض المؤرخين، أنها تألفت من ثلاثة عشر حملا، وهذه الكتب التي طلبها السلطان يعقوب بن عبد الحق من شانجة – (سانشو) ملك قشتالة– أن يرسلها إلى المغرب بعد أن تم توقيع الصلح بينهما في أتناء عبوره الرابع إلى بلاد الأندلس سنة 684هـ/ 1285م، وكانت هذه الكتب نواة للمكتبة السلطانية بفأس، وذكر السلاوي أن هذه الكتب ضمت " جمله من مصاحف القرآن الكريم وتفاسيره " كابن عطية والثعلبي و" من كتب الحديث وشروحها" كالتهذيب والاستذكار ومن كتب الأصول والفروع واللغة العربية والأدب وغير ذلك. وجرت العادة في المغرب أن تكون دور الكتب بالمساجد والأربطة والمدارس وأعظمها ما يكون بقصر السلطان، إلا أن إنشاء دار مستقلة للكتب في العصر المريني بوجه خاص، يرجع الفضل فيه إلى للسلطان، أبي عنان المريني، فمن رغبة هذا السلطان في العلم وحبة له نبعت فكرة إنشاء دار الكتب على نحو ما هو معروف لدينا الآن؛ إذ احتوت هذا الدار على كتب تخدم شتى العلوم، وقد جري المرينيون في تنظيم هذه

المكتبة على ما هو معروف الآن من استخدام أمناء المكتبات لحفظ الكتب وتنظيمها، واستقبال الزائرين للمكتبة، وتقديم الكتب التي يرغبون في الإطلاع عليها.

وقد ألحق أبو عنان بهذه المكتبة الكبرى، خزانه كبرى للمصاحف، اعد بنفسه تصحيحها سنة 750م، ولم تكن المكتبات العامة في العصر المريني في العاصمة فاس وحدها، وإّنما كانت هناك بعض المدن في المغرب الاقصي اشتهرت بكثرة الكتب الموجودة بها في العصر المريني، مثل سبته، التي كانت كما يصفها المقري خزانه للكتب.

الفصل الخامس

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العصر المريني

أولًا: الحياة الاقتصادية

عاشت دولة مرين فترات كبيرة من حياتها في بلاد المغرب في ظل الرخاء والازدهار، ومرجع ذلك إلي التنظيم الذي سار علية المرينيون في سياستهم المالية وإشرافهم عليها فضلًا على ما كان لدى هذه الدولة من موارد اقتصادية هائلة، وعمتها الأنشطة الرئيسية المتمثلة في الإنتاج الزراعي والصناعي وسائر الأنشطة التجارية الأخرى.

الدينار المريني مسكوك في عهد السلطان أبي عنان

الصناعة

لقد مثلت الصناعة في الدولة المرينية نشاطًا من الأنشطة الاقتصادية الهامة التي يعتمد عليها المواطنون في الدولة المرينية؛ إذ امتدت هذا الصناعات المواطنين باحتياجاتهم ولوازمهم، ومما ساعد على قوة هذا اللون من النشاط الاقتصادي أنّ الموحدين خلفوا للمرينين قاعدة صناعية كبيرة تحدثت عنها بعض مصادر التاريخ، إذ ذكر الجزئاني أنّ مدينة فاس قاعدة الصناعة الرئيسية في المغرب الأقصى كان بها في أواخر العصر الموحدي ثلاثة الألف وأربعة وتسعين دارًا لصناعة الأطرزة، وسبعة وأربعون، وسبعة وأربعون دارًا لصناعة الصابون، و ستة وثمانون دارًا للدباغة، ومائة وستة عشر دارًا للصباغة، وأثنا عشر دارًا لسباكة الحديد والنحاس، وأحد عشر دارًا لصناعة الزجاج، وألف ومائة وسبعون فرنًا لصناعة الخبز وأربعمائة من أحجار صناعة الكاغيد (الجلد) عدا ما في خارج المدينة من دور لصناعة الفخار، تصل إلى مائة وثمانين دارًا. ويذكر الجزناني أنّ الصناعة قد ازدهرت في العصر المريني عما كانت عليه في أيام الموحدين بسبب اتساع العمران حول فاس القديمة ببناء فاس الجديدة أو المدينة البيضاء، ومما لا شك فيه أنّ التقدم الصناعي كان سبب توفر المواد الخام اللازمة للصناعة مثل الحديد والنحاس والفضة، كما نشطت في العصر المريني بعض الصناعات الدقيقة كصناعة الساعات والإسطرلابات.

الصناعات الحربية

اهتم السلاطين بني مرين اهتمامًا كبيرًا بالصناعات الحربية لحاجتهم إلى الجيوش القوية التي يدافعون بها عن حدودهم ضد الإخطار التي تهددهم دائمًا من الشرق، ولكي ليقوموا بالجهاد المقدس دفاعاً عن الإسلام في بلاد الأندلس، وتدل الروايات على أنّ المرينيين كانوا يملكون ترسانة قوية لصناعة الأسلحة اللازمة لجيوشهم حيث استخدم الجيش المريني أحدث أسلحة العصر في معاركة. فالمعروف طبقًا لرواية ابن خلدون أنّ المرينيين كانوا روادًا في استعمال البارود، بل لعلهم أول من استعملوا في صناعة المدافع التي استخدمت في قذف الأسوار وتحطيمها، فقد استخدمه المرينيون في فتح سجلماسة سنة 672هـ/1273م، وهناك سلاح آخر اهتم به المرينيون يسمي (قوس الزيار) وقد كلفوا مهندسي الأسلحة بصنعة، وقد استخدم هذا القوس في حصار تلمسان الكبير على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني، ويبدوا أنّ القوس كان بعيد المدى في إصابة أهداف العدو. كما اهتم سلاطين بني مرين بالصناعات اللازمة للأسطول المريني وخاصة صناعة السفن لأهميتها لهم في العمليات الحربية في الميدان الاندلسي، وللدفاع عن سواحل دولتهم.

الزراعة

ازدهرت الزراعة في العصر المريني بفضل ما تمتع به المغرب الأقصى من دعائم لازمة للزراعة، وأهمها وفرة مصادر المياه، وجودة التربة، وتنوع المناخ الذي كان له أثرة في تنوع المحاصيل والثمار، هذا ويحيط بمدينة فأس نهر سبو من شرقها وغربها كما يجري في المغرب الأقصى عدد من الأنهار التي لا يقل ماؤها صيفًا وشتاءً ممّا كان له أثره في استقرار الحياة الزراعية بالمغرب الأقصى، كما تتميز بلاد المغرب الأقصى بكثرة الأودية الصغيرة التي ينقطع ماؤها في فصل الصيف، ومن أهم المحاصيل في بلاد المغرب في العصر المريني القمح والفول والشعير والخضار والفاكهة والأزهار والرياحين، وممّا ساعد على ازدهار الزراعة في عصر المريني اهتمام سلاطين بني مرين بالزراعة؛ إذ أقطعوا كبار الرجال الدولة الاقطاعات الزراعية كالقضاة وقادة الجيش والذين كانوا يشرفون بأنفسهم عليها ممّا أدى إلى زيادة الإنتاج الزراعي.

كما كانت الغابات مصدرًا للأخشاب مثل خشب الأرز المستعمل في بناء المنازل وصناعة السفن، وكذلك خشب العرعر، والزان وكذلك أشجار الصنوبر وأشجار الأركان ومنه يعصر زيت للطعام يسمي

زيت الأركان. التجارة: كثرة الغابات على توفر ثورة حيوانية ضخمة بالمغرب الاقصى؛ إذ وفرت الطعام اللازم لهذه الحيوانات الوحشية مثل الوحش الحمر والنعام والغزال والمها.

التجارة

انعكست حالة الأمن والاستقرار التي سادت الدولة المرينية على نشاطها التجاري، وقد حرص سلاطين بني مرين على توفير الأمن، وكان ذلك هدفًا رئيسًا لهم منذ إطلاعهم بقيادة زمام الأمور بلاد المغرب الأقصى . بعد أن عجز الموحدون عن توفير ذلك الأمن فأصاب البلاد ما أصابها من التدهور والاضطراب، ودأب سلاطين بني مرين على الضرب على أيدي كل من تسول له نفسة الاعتداء على الأموال ففي سنة (669هـ /1270) بعد إعلان قيام الدولة بعام واحد توجه السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق إلي منطقة درعه لتأديب بعض القبائل العربية التي كانت تثير الشغب وتتعدى على الناس والأموال، ونقل هؤلاء العرب إلي مراكش ليكونوا تحت رقابة دقيقة من عمال الدولة هناك.

كما سهر المرينيون على تأمين طرق الموصلات بين مدن الدولة فاستحدثوا تنظيمات جديدة على طول الطرق التي تربط بين العاصمة فاس والمدن الآخرى، كمراكش، وتلمسان، وسبتة، وسميت هذه التنظيمات(بالرتب) وهي عبارة عن خيام تقام على مسافات متساوية تقدر بأثنى عشر ميلًا، يسكنها أهل المنطقة التي تقام بها ويمنحون إقطاعًا من الأرض على قدر كفايتهم، وتلزمهم الإدارة المرينية ببيع الشعير والطعام وما يحتاج إليه المسافرون من الأدم والمرافق على أن يقوم أهل المنطقة بحراسة المسافرين وأمتعتهم فإن ضاع منهم شئ كانوا الضامنين له يقول ابن مرزوق " فلا يزال المسافر كأنّه في بيته وبين أهلة في ذهابه وإقباله " علاوة على ذلك نظمت الدولة فرقًا أطلقت عليها اسم " الغرباء" وهذه الفرق مهمتها حراسة الطرق وخدمتها، كما كانت هذه الفرق جهازا للسهر على أمن الدولة؛ إذ كان هؤلاء (الغرباء) عيونا وجواسيس يراقبون أي خطر يهدد الأمن أو سلامة البلاد فيبادرون بإبلاغه للسلطات المسؤولة.

وإلى جانب الاستقرار حالة الأمن، توفرت للنشاط التجاري الأسواق الداخلية والخارجية، وهي الميادين التي تدور فيها السلع بيعًا وشراءً، كما توفر الإنتاج الزراعي والصناعي، وهما الأساس القوى لازدهار أي نشاط تجاري.

التجارة الداخلية

تركز النشاط التجاري الداخلي في الدولة المرينية في الأسواق التي أقيمت في المدن؛ إذ جرت العادة في المغرب أن تختص كل صناعة بسوق، وكل سوق بصناعة، وغالبًا ما تكون الأسواق حول المساجد على نسبة اتصالها بهذة المساجد وظيفيا، فحول المسجد وقريبًا منه نشطت الأحياء التي لها ارتباط باحتياجات المسجد، فهناك سوق الشماعين، لوجوب الاستضاءة بالشموع في الصلوات الليلية، وهناك سوق العطارين والطيبين وباعة البخور، لوجوب التعطر والتبخير بالجوامع، وهناك سوق القباقبية لوجوب الوضوء، وسوق الكتبيين لأنّ المساجد كانت مدارس ومعاهد للثقافة والعلوم. وإلى جانب هذه الأسواق كان هناك العدول، والمأذونون لأنّ العقود كانت تتم ويشهد عليها في المساجد. وفي فاس يظهر هذا الارتباط القوى بين المسجد والأسواق التجارية حتى أنّ أبواب المساجد، سميت بأسماء هذه المناطق الاقتصادية النشيطة، فمسجد له أبواب تحمل أسماء لها دلالات تجارية، مثل باب الكتبيين حيث كان باعة الورق والكتب، وباب الشماعين وبقربة باعة الشموع، وباب الموثقين، حيث يجلس الموثوقون للقيام بأعمالهم في كتابة العقود وتحريرها، ثم تتعاقب الأسواق طبقة طبقة إلى أن يكون آخر إلى جوار سور المدينة وهي التي يجب أن تكون بعيدة عن المنازل والسكان حتى لا تؤذيهم برائحتها الكريهة أو أدخنتها، أو الأخطار الناجمة عن الحريق أو الدوى، مثل الدباغين، والصباغين، والسراجين، والحدادين، والنجارين، وكانت هناك الأسواق الخاصة ببيع الأقمشة والملابس، وأطلق على هذا النوع من الأسواق اسم القيسارية. وإلى جانب هذه الأسواق كانت هناك الحوانيت ففي العاصمة فاس تمركزت في وسط المدينة، في عدوة القرويين، حوانيت القصابين مع وجود عدد منها في الأحياء الاخرى، وكان عدد هذه الحوانيت كلها نحو الأربعين.

وهناك حوانيت أخرى كحوانيت الصباغين والختامين والسفاجين والخياطين واطرزة الحياكة، وكان في فاس أيضًا عدد من حوانيت الأطعمة الجاهزة التي تعد المأكل مثل الفول المسلوق والسجق والمعجنات والحلويات والفواكه المقلية، وهذه الحوانيت كانت تجد كثيرًا من الرواد من الأهالي والمسافرين والغرباء. واهتم ولاة الأمر وخاصة بمدينة فاس بإقامة الفنادق وتجديدها لأهميتها الاقتصادية فهي موضع إقامة التجار والغرباء ممن لهم اثر كبير في الحركة التجارية، فضلًا عن أن هذه الفنادق كانت مخازن لمختلف أنواع السلع والتجارات حيث كان التجار الوافدين يخزنون فيها بضاعتهم لتوزع بعد ذلك على التجار بالجملة.

وممّا يميز مدينة فاس عن غيرها من المدن أنها حافظت على فاس القديمة وبنيت في فاس الجديدة مجاورة لفاس القديمة التي حافظت على سورها وجوامعها وأسواقها وحوانيتها، وقد زرتها قبل سنوات وأمضيت فيها يومًا كاملًا ، وكأنّ الزمن عاد بي إلى الوراء إلى العصر .

ثانيا: الحياة الاجتماعية

عناصر المجتمع المغربي في دولة بني مرين

1- شكل البربر السواد الأعظم في البناء الاجتماعي للمجتمع المريني، فمن هؤلاء البربر كانت الطبقة الحاكمة التي انتمت إلى احدي هذه القبائل البربرية، وهي قبيلة بني مرين وبطبيعة الحال كان انتماء بني مرين إلى زناته دومًا أكبر عون للمرينيين سواء في مراحل تأسيس الدولة أو في المراحل الاخري؛ إذ كانت قبائل زناته تشكل عنصرًا كبيرًا من عناصر الجيش المريني.

2- كما ضم المجتمع المريني عددا من الاندلسيين الوافدين من الأندلس، وتميزت من هؤلاء الاندلسيين مجموعتان:

الأولى : مجموعة الأندلسيين المشتركين في الجيش المريني وكانوا من الجند النشابة حملة الأقواس بصفة خاصة، ولمهارتهم في الرماية تولوا قيادة المركب السلطاني، ومن أشهر قادة هذا المركب من الاندلسيين إبراهيم البطروجي.

الثانية: هي طبقة العلماء الذين انتقلوا من الأندلس إلى المغرب الأقصى بعد ضياع بلادهم باحتلال النصارى الأسبان لها، وهؤلاء كان لهم دورهم في الحياة الدينية والثقافية في الدولة المرينية.

3- كما كان هناك العرب الذين ضم الجيش المريني كثيرا منهم، وكان معظمهم من الفرسان ولكن المرينيين لم يعتمدوا كثيرا على القبائل العربية، خاصة في مرحلة تأسيس دولتهم؛ إذ كانت القبائل العربية مذبذبة بين ولائها للموحدين وطاعتها لبني مرين. وهذا ما دعا السلطان يعقوب بن عبد الحق إلى نقل بعضهم من درعة إلى مراكش ليكونوا هناك تحت رقابة عمالة، ويؤكد وجه النظر هذه أن القبائل العربية في إفريقية هي التي حملت لواء المعارضة ضد الوجود المريني هناك، وساهمت في إعادة إفريقية للحفصيين ثانية في عهد أبي الحسن المريني. وفي الوقت ذاته ارتبطت الأسرة المرينية الحاكمة ببعض القبائل العربية برباط النسب.

4- والى جانب هذه الاكثريات في المجتمع المريني، كانت هناك عناصر أخرى تمثل أقليات صغيرة من الأتراك الغز: الذين استعان بهم المرابطون في جيوشهم وكانوا مصدر خطر كبير في عهد

الموحدين، وأغدق الموحدون عليهم الأموال والاعطيات ولكن في عهد المرينيين لم تكن لهم تلك المكانة التي كانت لهم في الدولة الموحدية.

5- أما الروم: فمعظمهم كانوا يمثلون فرقة ضمن فرق الجيش المريني وقائدهم يطلق عليه اسم قائد جند النصارى، وحرص المرينيون على جمعهم في مكان واحد عرف بحي الملاح، وكان لهم دورهم في الحياة السياسية خاصة في عصر نفوذ الوزراء.

6- اليهود: وقد وجدت أعداد كبيرة منهم في المغرب الأقصى، وكان أكثرهم بالعاصمة فاس حيث سكنوا حي الملاح مع الروم، وكان لليهود دور كبير في الحياة السياسية في الدولة المرينية حيث وصل بعضهم إلى أرفع مناصب الدولة، فكان خليفة بن ميمون ابن زمامة حاجبًا للسلطان يعقوب بن عبد الحق، وتولت أسرة بني وقاصة اليهودية قهرمة القصر السلطاني في عهد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق، وفي عهد آخر سلاطين بني مرين السلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني تولى منصب الوزراء اثنان من اليهود هما هارون وشاويل، وقد أدى تحكم اليهود في الدولة عن طريق هذين الوزيرين إلى مقتل السلطان عبد الحق المريني وسقوط الدولة المرينية.

مكانة المرأة المغربية في العصر المريني

تمتعت المرأة المغربية بقدر كبير من التقدير والاحترام سواء عند الحكام المرينيين، أو عند باقي فئات المجتمع المغربي، وظهرت المكانة السياسية لها من خلال مساهمتها في تحقيق السلم بين الأطراف المتنازعة من خلال قبولها الزواج، ولو مكرهة، من رأس الطرف الغازي أو المهدد بالغزو، وكاف الهدف من هذه الزيجات السياسية لجم الصراع والتناحر، كذلك من خلال مساهمة المرأة في السفارة لبلادها في عهد السلطان أبو الحسن المريني. وظهرت المكانة الحربية للمرأة المغربية في قدرتها على إيقاف الحرب، أو الفعل الطيب فيها لصالحها، ولصالح الطرف المغلوب فيها، في ذلك العصر الذي بدأ بصراع طويل ومرير مع الموحدين واستمر ثمانية وخمسين عامًا ، ومن خلال تدخلها لتخفيف آثار الحرب على الطرف المغزو، وذلك من خلال تدخلها لوقف الحصار على المدن وتخفيف آلا م ذلك الحصار على أهالي هذه المدن، كما تمثل ذلك الدور في منع نشوب الحرب، واستيعاب نتائجها.

أمّا المكانة الحضارية للمرأة المغربية فقد ظهرت من خلال مشاركتها في ممارسات الحياة اليومية داخل المجتمع المغربي فكان لها دور مهم في إتمام عمليات الخطوبة وعقد الزيجات، وضمنت لها عقود الزواج حياتها الكريمة مع زوجها، فلا تتعرض في يوم من الأيام لإساءة المعاملة أو غير ذلك.[1]

زي المرأة المغربية

والسيدات في فاس وغيرها من مدن المغرب ملثمات بالبرقع وهو منديل أسود ويغطي قصبة الأنف ويعقد وراء الأذنين، وتبقي العيون الساحرة حرة طليقة للنظر والمشاهدة، ولباسهن سابغ حتى أخمص القدمين. وكثيرًا ما يكون رأس السيدة مغطى ببرنس من نفس القماش، والأكمام تمتد إلى أسفل الرسغ، وكثيرًا ما تشاهد بعض السيدات وهن يحملن أطفالهن وراء ظهورهن بكيس أو خرج معقود طرفاه حول عنقها.

[1] . الخولي. د. محمد عبد العظيم.(2018) مجلة المؤرخ العربي . العدد 26. الجزء الأول.

البرقع المغربي منعت لبسه الداخلية المغربية مؤخرًا

ملابس السلاطين

اختص السلطان المريني لنفسه بلبس البرنس الأبيض الرفيع، ولا يلبس هذا النوع من الثياب ذو سيف غير السلطان. أمّا الزى العسكري للسلطان والأشياخ وعامة الجند في سائر الأيام، فإنّ الجميع كانوا

يتعممون بعمائم طويلة، قليلة العرض، مصنوعة من الكتان، مع احرامات يلفونها على أكتافهم، وكانت تغلب عليهم الطبيعة البدوية؛ إذ كانوا بسيوفهم تقليدًا بدويًا، ويلبسون الخفاف في أرجلهم، وتسمي عندهم الانمقة ويشدون فوق هذه الأنمقة المهاميز، ويتخذون الماطق وهي (الحوائص) ويعبرون عنها بالمضمات وهي من الفضة أو الذهب، وربما بلغت كل مضمة من هذه المضمات ألف مثقال، ولكنهم لا يلبسونها إلًا في يوم الحرب أو أي التمييز (العرض العسكري).

ملابس العلماء

السلهام يلبسه علماء الدين فوق الجلباب

أمّا العلماء وأهل الصلاح فإنّهم يلبسون البرانس الملونة، وقد يسمح لهم أحيانا يلبس البارنس البيضاء، ومن العلماء من كان يلبس السلهام فوق الجلباب. أمّا ملابس القضاة والعلماء والكتاب وعامة الناس، فقريبة الشبة من زى الجند، إلا أنّهم يضعون على رؤوسهم العمائم الخضراء، أمّا الفقراء كالأيتام فإنّهم كانوا يلبسون قمصانًا ويربطون على هذه القمصان الأحزمة، وفي كثير من الأحيان كانت الدولة توفر لهم الكساء كل عام.

من ملابس العصر المريني

الاحتفالات في المجتمع المريني

كانت هناك احتفالات ومناسبات كثيرة يظهر فيها السلطان المريني أما جمهور شعبة الذي كان يشارك في هذه الاحتفالات، إما بالتجمع لرؤيتها والتمتع بها، أو بالمشاركة الفعلية في هذه الاحتفالات ومن بين هذه الاحتفالات

1- الاحتفال باستقبال وفود الدول.

2- الاحتفال بسفر السلطان.

3- الاحتفال بالمولد النبوي.

4- صلاة العيد.

الفصل السادس

اليهود في العصر المريني

يعتبر اليهود من بين الاقليات الدينية التي استقرت منذ وقت مبكر في بلاد المغرب العربي، وبعد انتشار الاسلام في حواضره انتفعت تلك الاقلية من روح التسامح التي سادت في مجتمعه، فاختارت عددًا من مدنه سكناً لها على وفق مقتضيات المهن التي مارسوها.

استقرار اليهود في العاصمة فاس

من يهود المغرب بفاس

ذكر ابن ابي زرع أنّ السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (656/ 1286م) مؤسس دولتهم قد انزلهم في حي الملاح الواقع ازاء فاس الجديد بعدما اخرجهم من – 685 هـ/ 1258 فاس الادريسية، وكان تاريخ امر بنائه في اليوم الثاني من شوال سنة (674 هـ/ 1275 م)، بينما يذكر آخر أنّه كان قد بنى مدينة حمص التي اسسها في فاس – 731 هـ/ 1310 – السلطان عثمان بن يعقوب (710هـ) اتخذت حيًا لليهود، وبجانبه ربض النصارى المخصص لسكن الجديد المعروفة أيضًا بالملاح والتي قيل الحامية المكلفة بحراسة السلطان ومما هو جدير بالذكر أنّ الاشارة الى الملاح لم تقتصر على اليهود فحسب بل استعملت في الحقب اللاحقة من عهد المرينيين ثكنات للجند النصارى؛ اذ قدرت اعدادهم في فاس بثلاثمائة مقاتل عند استلام المرينيين حكم المغرب، وقد وظفهم السلطان يعقوب بن عبد الحق لاستكمال عملياته ضد تلمسان، وقد بلغوا فيما بعد الفاً وستمائة مقاتل، وكان رئيس جندهم في زمنه المدعو كارسي مارتينيز كاليكوس وهو

أحد السفراء الذين ذهبوا إلى أسبانيا لفك الحصار عن الجزيرة الخضراء كما اتخذ الملاح أيضًا وكرًا لمعاقرة الخمور بعيدًا عن أنظار الناس.

الحي اليهودي سابقًا قي فاس

وإذا كانت المصادر قد ركزت على استقرارهم في فاس بوصفها عاصمة للمرينيين جريًا على حال من سبقهم من المؤرخين من أمثال البكري الذي ذكر أنّ اليهود كانوا يختلفون منها إلى جميع الآفاق، فإنّ الوزان الذي عاش في منتصف القرن العاشر للهجرة – السادس عشر للميلاد قد حدد مناطق سكنى اليهود في مدن المغرب الأقصى، وإن كان قد نبه في معرض حديثه عنهم في فاس بان عددهم تزايد بعد إجلائهم من الاندلس، ومنها هجرة سنة 794 هـ/ 1391 م ؛إذ هاجر إلى المغرب عدد غير قليل من يهود الاندلس، وعرفوا بالمهاجرين، .استوطنوا فاساً، ودخل كثير منهم الإسلام، لقد وجدهم الوزان خلال رحلته في إقليم حاحة في مدن تدنست وهادكيس وآيت داؤود، وجبل دمنسرة من جبال الاطلس حيث رآهم يحملون السلاح ويحاربون لحساب رؤسائهم من سكان منطقتهم، ويطلق على طائفتهم ب (القراؤون)، كما وجدهم في إقليم السوس في مدينتي تيوت وتيدسي وفي جبل هنتانة وهم كذلك من الطائفة نفسها آنفة الذكر، وفي مدينتي آسفي وازمور من دكاله وفي المدينة من هسكورة. [1]

[1] . الشاهد. أ.د. مزاحم علوي. يهود المغرب في العصر المريني (سنة 668هـ) . المجلة التاريخية الجزائرية . العدد 3 جوان 2017. ص 49.

من يهود فاس عام 1900م

وفي مدينة تفزة وقدرهم بمائتي بيت، أمّا في إقليم تادله فقد لاحظهم في مدينتي آيت عتاب وآيت آياد، ويضيف : ,استقروا سجلماسة جنوب البلاد بأعداد قليلة من الصناع ، وغدوا أصحاب أموال.

إنّ اكثر المعلومات المتوفرة تفيد انّ اليهود لم يواجهوا إجراءات إدارية حادة اتخذت بحقهم في العصر المريني مقارنة مع إجراءات الموحدين؛ إذ ميزهم الخليفة المنصور الموحدي سنة 595 هـ/ 1199 م باللباس الذي عرف بالشكله وهي عبارة عن ألبسة كحلية وأكمام مفرطة السعة تصل إلى أقدامهم، و وضع قلانس بدلاً من العمائم على رؤوسهم، واستمر ذلك حتى عهد ولده الذي غيرها بثياب وعمائم صفر، وقد ادعوا دخول الاسلام، وفي هذا يقول المنصور الموحدي: " لو صح عندي اسلامهم لتركتهم يختلطون بالمسلمين في أنكحتهم وسائر أمورهم، كما تظهر المعلومات المتوفرة أنّ الشكلة استمرت عند يهود تونس على عهد الحفصيين سنة 648 هـ/ 1347 م، وهي كما يصفها هوبكنز عبارة عن قميص طولها ذراع في عرض ذراع.

وقد فرض عليهم – 961 هـ/ 1471 – لبس برانس وقلانس زرق كما يذكر أنّ العهد الوطاسي (876هـ) فرض عليهم لبس نعال خاصة، وألزموا بلبس عمامة سوداء او طاقية يضاف إليها قطعة من القماش الأحمر.

فرض الجزية على اليهود

لقد فرضت الدولة المرينية الجزية على اليهود استنادًا على ما جاء في القرآن الكريم، ووردت اشارات عنهم تفيد بإعطائهم الجزية منذ عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق الذي خصصها بدوره للإنفاق على المصابين بالجذام في مدينتي تادنست في حاحة وتيوت في السوس.

مآخذ سلوكية لبعضهم

هذا وممّا سجلتها المصادر التاريخية الوارد ذكرهم فيها قد أوضحت خللًا كبيرًا في سلوكهم.

ففي أول اشارة يرد ذكرهم فيها وهي سنة 674 هـ/ 1227 م تشير إلى قيام أحدهم بالاعتداء على جارية مسلمة في فاس افتضها قهرًا في داره، ممّا أدى الى قيام غليان شعبي تجاههم، لم يتوقف إلا بعد تدخل السلطان يعقوب بن عبد الحق بنفسه، وهو ما دفعه الى نقلهم الى حيهم الجديد، وفي ميدان الخطط الادارية فقد سعوا الى التقرب من القصر السلطاني، حيث تمكنت اسرة يهودية تعرف ببني رقاصة من ملازمة الأمير يوسف بن يعقوب من صغره، اذ كانوا يتولون قهرمة داره – أي خصوصياته – ويقضون اموره، فعظم جاههم عند حاشيته لإقباله عليهم، فبرز منهم خليفة بن رقاصة واخوه ابراهيم وصهره موسى السبتي ، وابن عمه خليفة الأصغر، واستمر الامير يوسف في مجالسته لهم، حتى استفاق على أفعالهم بعد أن وصلت إلى مسامعه دسائسهم، واستغلالهم لاسمه، فسطا عليهم في شعبان من سنة 701 هـ/ 1301 م بمعسكره خلال حصاره لتلمسان عاصمة بني عبد الواد وقتل منهم خليفة وأخوه وصهره وأبقى خليفة الأصغر حتى عرفت بنكبة بني رقاصة .

وما أشبه هذه النهاية بنهاية البرامكة على عهد الخليفة هارون الرشيد، الا ان الفارق بينهما هو بقاء خليفة الأصغر الذي ظل يخفي حقده على الكاتب عبد الله بن أبي مدين اعتقادًا منه بانّه قد سعى ضد اسرته فظل رغم تقادم الزمن، وتدرج الاثنين في المناصب، ظل خليفة الذي عمل حاجبًا لثلاثة سلاطين مرينيين متحينًا الفرصة كي يبث سمومه في جسد ضحيته الكاتب عبد الله بن أبي مدين؛ إذ بلغ خليفة الأصغر حظوة عند السلطان أبي يعقوب مالم يبلغها أحد بحيث يقصر عنها – 710 هـ/ 1308 – الربيع سليمان بن عبد الله بن يوسف الوصف حتى قيل ان جميع الجيش ينادونه بسيدي أبي خرز من بني مرين وغيرهم كل ذلك لتعظيم السلطان له وتوليته التصرف في دولته .

لقد حاك الخليفة الأصغر في جنح الليل، وفي غفلة من السلطان مكيدة للكاتب عبد الله بن ابي مدين الذي كانت بيده علامة السلطان منذ عهد مؤسس دولتهم يعقوب بن عبد الحق، حيث افتعل له امرًا مع جارية تحبه وأعطاها خليفة لأبي مدين؛ إذ طلب منه أن لا يقرأها حتى يصل السلطان أبي الربيع داره تعلمه في رسالة مزورة ، فغادر قصر السلطان، بينما عاد اليهودي ليخبر سلطانه عن قصة الكاتب مع جاريته ،فامتعض من ذلك، وأمر برده إليه، فعاد مسرعًا لا يعلم ما دبر له ظنّاً منه أنّ السلطان حدث له أمر بأمره

بإمضائه، فلما وقف بين يديه بحضرته أمره أن يعطيه الرسالة التي في جيبه، فأعطاها اياها غير عالم بما فيها وانصرف الى داره، فأخذها السلطان واعطاها لكاتبه يحيى المليانى الذي تأكد بدوره من تطابق ما قاله اليهودي ثم أوعز للمليانى بقتله بعد أن حضر إلى موضع السر الذي يعمل فيه، وفي رواية أخرى أنّ السلطان سليمان أمر قائد النصارى في جيشه غنصالو بقتله فقتله قرب قبر ابي بكر ابن العربي وهو يزوره، كما يضيف الناصري رواية ثالثة عن مقتله.

على كل حال، ففي اليوم التالي علم السلطان سليمان بالخديعة، فقد جزم أعيان بني مرين بأنّ ذلك خديعة من اليهودي، فبحثوا في القضية فوجدوا من زور الرسالة لليهودي.[1]

فاحضروه بين يدي السلطان واعلموه أن اليهودي هو الذي أمر بكتابتها عن إذن الجارية ولا علم لابي مدين بذلك، ولما قابل السلطان سليمان الخطين، تحقق من براءة ابي مدين، فامر بقتل الحاجب اليهودي قصاصًا منه.

المقبرة اليهودية في حي الملاح في فاس

وممّا هو بالجدير بالذكر أنّ المصادر التاريخية المغربية قد سكتت تمامًا عن الإشارة إلى استلام أي منهم وظيفة ما عدا ما ورد من اشارات منبثة هنا او هناك تعكس سخط الدولة والعامة منهم حتى لافتعالهم أزمات اقتصادية في مجتمعات مدن المغرب، ولعل إبعاد السلطان علي بن عثمان المريني (731 – 752 م) لهم عن وظائف الدولة ما يفسر رد الفعل تجاههم؛ إذ يخبرنا البعض أنّ السلطان المذكور لم يستعمل أحدًا من اهل الذمة في خطط دولته كوظيفة الخراج والديوان والحساب والمساحة، ولم يتخذهم أطباء ولا في خزنة

[1] . المرجع السابق . ص 50-51.

أموال ، إلّا أنّ الملفت للنظر على صعيد دولة السلطان علي بن عثمان قصة التسلل على عاصمتهفاس للإطاحة بنائبه الامير منصور بن ابي مالك بن علي الذي أاودعه جده في فاس الجديد عند حملته على تونس الحفصية؛ إذ لما شاع نبأ مقتله في القيروان ، وتقدم ولده الأمير أبو عنان للسيطرة عليها وعزل ابن أخيه منها، فنشب بينهما صراع رجحت فيه كفة الامير ابي عنان الذي ضرب حصارًا على ابن اخيه في جمادي الآخر سنة 749هـ/ 1348 م وتمادى على حاله في الشدة والضيق حتى تمكن من دخول المدينة عنوة يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شوال سنة 749 هـ/ 1348 م، إلّا أنّ الأمر الغريب في ذلك أنّ اقتحام العاصمة قد تم من خلال حي الملاح المخصص لليهود كما هومعروف، ذلك ما صرح به المؤرخ ابن الاحمر بنصه: "ودخل البلد – أبو عنان – عنوة بممالات من اوشاب القبائل ، وأرادوا تسهيل مهمة التسلل من موضع يقال له الملاح .

وقد عكست بعض المؤلفات المغربية الأصداء الشعبية والثقافية عنهم ؛ إذ ألّف ابن النقاش الدكالي (ت 763 هـ/ 1316 م) كتابًا بعنوان "المذمة في استعمال اهل الذمة".

كما ظلت الدولة المرينية حريصة على عدم اشتغالهم في وظائفها، وهو ما عبر عنه أحد وزرائها الذي زار القاهرة سنة 700 هـ/ 1301 م والتقى بالناصر محمد بن قلاوون حيث عبر عن استيائه من جراء ما شاهده من تمتع يهود مصر بالامتيازات والوظائف؛ إذ لم يكن ذلك جاريًا في بلاده فشن حملة أتت أكلها فالزموا من يومها لدى الأمراء أو في ديوان السلطان بلبس العمائم الصفر، وأعفوا من وظائفهم التي كانوا يتولونها.[1]

العسف واستلاب الأموال .. والناس في شدة

عين الوزير هارون رجلاً يهودياً من مهاجري الاندلس على شرطته قيل عنه : انه كان لا يأل جهداً في التنكيل بالناس .

ولقد أرغم الوزراء اليهود الناس بالضرب والعقاب على أداء الضرائب، ومنحوا اليهود من مهاجري الاندلس امتيازات واضحة في احتكار التجارة في أسواق فاس، وبينما كان السلطان عبد الحق غائباً في حركة له ببعض النواحي، قام اليهودي صاحب الشرطة بالاعتداء على امرأة شريفة من اهل حومة البليدة في فاس بالإهانة والضرب، فثار اهل فاس، وتوجهوا صوب خطيب القرويين الفقيه عبد العزيز بن موسى الورياكلي وقالوا له : "الا ترى الى ما نحن فيه من الذلة والصغار وتحكم اليهود في المسلمين والعبث، فلما سمع ذلك

[1] . المرجع السابق. ص52,

خلع السلطان عبد الحق ونصب بدلاً عنه ابا عبد الله الحفيد نقيب الشرفاء الادارسة سلطاناً على البلاد، ثم اتجهوا جميعًا الى فاس الجديد حيث فتكوا باليهود المسببين بذلك الحادث، ووصل خبر ما جرى للسلطان عبد الحق الذي أنفض راجعًا إلى العاصمة، وفي الطريق بدأت قواته تنفض عنه، أمّا الباقون منهم فقد ألقوا القبض على وزيره هارون وقتلوه ثم اعتقلوا السلطان عبد الحق الذي اقتيد إلى العاصمة، ثم لقي بعدها مصرعه صبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة 869 هـ/ 1464 م، ودفن ببعض مساجد فاس الجديد،).وبموته انتهت الدولة المرينية الذي دام حكمها أكثر من قرنيْن.[1]

دور اليهود في الحياة الاقتصادية في العصر المريني

لقد بيّنت المصادر التاريخية عن دور اليهود في الحياة الاقتصادية في فاس في العهد المريني ، وما نجم عنه من أزمات اقتصادية وتخريب سافر الحق ضررًا بليغًا في مجتمعهم.

وقد أجمل مؤرخ مريني المهن التي زاولوها في فاس، حيث ذكر أنّ من أسلم منهم قد مارس مهنة الخياطة ونسج القلانس والحجامة والبلاجة والدلالة في الأسواق وبيع الالبان وإصلاح وبيع النعال بينما احترف الموالي منهم صنع الخبز والقدور وعصر الزيت وصناعة الصابون وبيع الملح والسمك وصناعة الحلوى وبيع الأعشاب وتسفير الكتب وطلاء الدور، وتزويق الخشب، وصناعة أدوات الحياكة والصفر والصباغة، وخدمة الحمامات، وسقي الماء، وبعض الصناعات الغذائية، وبيع الصوف والكتان وآلات الطرب، وسك النقود وحلي النساء، وصناعة وبيع المرجان وكراء أواني البناء ، وحفر الآبار وتصفية المعادن والرخام، واذا كان ما تقدم يغطي المهن التي زاولوها في مجتمع العصر المريني وقد أضروا بالاقتصاد المريني ولا سيما في حقلي الصياغة والنقد، ممّا دفع الدولة إلى اتخاذ سلسلة من القرارات كان أولها القرار الذي اتخذه السلطان علي بن عثمان بمنعهم من الاشتغال ب"الصياغة والصرف والقبض وكل ما فيه غش للمسلمين، وكانوا في كل مرة يقدمون العهود أمام سلاطين الدولة بالالتزام، والعمل تحت أشراف أمين دار السكة فقد صدر مرسوم من السلطان أبي عنان في الرابع من ذي الحجة سنة 756 هـ/ 1355 م يلزمهم بأن "لا يبيعوا شيئاً من المصوغات من الحلي وغيره إلّا بعد عرضه على أمين دار السكة، وطبع ما يقبل من ذلك، والا ينتصب للصرف إلّا من يوثق به، ولا يغش المسلمين ولا يناكرهم ولا يعاملهم بالربا، والا يعاملوا مسلمًا بما أباحوه لأنفسهم من المداينات بالمطالع ولا بما أمسكوا لهم رهانًا، وأن لا يدخل عندهم احد ممن يتهم بشرب الخمر

[1] . المرجع السابق.

وغير ذلك من الفواحش الممنوعة شرعًا، والتزم ذلك أشياخهم ، وألزموه سائر أهل جزيتهم، وألزمتهم بالتعامل بالنقد الخالص وتجنب الزائف منه ، ولقد شددت الدولة المرينية في إجراءاتها عليهم ، ومع كل ذلك التشديد وتلك المراقبة، فقد ذكر عنهم أنّهم عند عملية السبك ووضعوا الفضة ها في جوف قطعة من الفحم الذي سبكوه به بعد ثقبها وذره فيها فاخذوا ذهبًا يساوي مقدار من الفضة التي وضعوها ، كما أستغل اليهود سك النقود أحيانًأ خارج دور الضرب؛ إذ ترد إشارة إلى أنّ فندق الشماعين في فاس كان مكانًا لسك النقد، وكانت أجرة ضرب كل مائة دينار من الذهب هي دينار وستة أثمان، ولكل أوقية من الفضة حساب درهمين، وهذا ما شجع اليهود على استغلال ذلك، فكثرت شكاوى الناس من ألاعيبهم ممّا دفع الدولة إلى تحضير المعدن والجهاز الإداري لتولي ذلك بعيدًا عنهم,[1]

ومن جانب أخر فقد كانت ظاهرة الصيارفة التي غلبت على معاملتها الفساد والربا مقترنة باليهود الذين اعتمدوها تحقيقًا للربح الفاحش وبخاصة في استغلال التجار وتسلفيهم.

عمل اليهود بالتجارة في الدولة المرينية

أمّا على صعيد الحياة التجارية فقد بينت المصادر اشتغالهم بالتجارة ، فممّا يذكر عن يهود فاس وسبتة كانوا على صلة مع يهود مرسيليا لضمان الآخيرين في تجارة السودان، كما اشتغلوا مترجمين بين المغرب وأوروبا، ووسطاء بين دول البحر المتوسط في افتداء الاسرى والمسجونين، وعملوا في جهاز التفتيش على أبواب المدن؛ إذ وجدوا على أبواب تلمسان لمراقبة البضائع وفحص المسافرين والتجار، وقد أساءوا لكل من مر عند تفتيشه نساءً أو رجالاً حتى أعفاهم السلطان علي بن عثمان المريني منه.

عدم اشتغال اليهود بالزراعة

وممّا هو جدير بالذكر أنّ المصادر لم تشر إلى اشتغالهم بالزراعة لأنّها تدر كسبًا حلالًا عدا إشارة متأخرة جاءت عن العصر السعدي تفيد احتكارهم لمعاصر السكر؛ حيث تتعاقد الدولة مع أهل الذمة على مزارعه ومعاصره مقابل مبلغ سنوي.

وهكذا يتبين من كل ما تقدم أنّ اليهود استغلوا الدولة المرينية، وعبثوا بكل زاوية توفرت امامهم، مسخرين كل شيء من أجل الربح، ضاربين عرض الحائط مصلحة البلاد والعباد، ففي الجانب السياسي، ظهر أنّ اليهود ورغم عناية الدولة المرينية لهم قد أساءوا، وسعوا إلى خلق الأزمات السياسية في البلاد،

[1] . المرجع السابق . ص 54.

وتسببوا بقتل شخصيات مرينية عرفت بولائها للدولة، رغبة منهم في التفرد والهيمنة على سلاطينها.وزيادة على ذلك فقد عملوا في الخفاء على الاطاحة ببعض سلاطينها غير هيابين للنتائج التي يمكن أن تحصل جراء ذلك الاقتتال، المهم عندهم أن يزيحوا ذلك السلطان المريني الذي استجاب لمصلحة البلاد ووجد أنّ اليهود قد عبثوا في وظائف الدولة فنحاهم عنها.

وكان للناس الأثر البالغ في قيام ثورة شعبية في العاصمة فاس أطاحت بآخر سلطان مريني بعد أن قبل هو بتعيين وزيرين وصاحب شرطة منهم.

أمّا في الجانب الاقتصادي فقد توصل البحث الى نتائج منها، أنّ اليهود لم يمارسوا أية مهنة في الدولة المرينية إلّا بقدر ما تحقق لهم من ربح، وما فيها من وسائل يمكن لها أن توصلهم إلى تلك الغاية، فزيفوا في النقد، وتعاملوا بالربا، ومارسوا الحيل في المهن التي اشتغلوا فيها رغم التحذير والوعيد .ابتعدوا عن المهن التي تحقق كسبًا حلالاً كالزراعة.[1]

مجموعة من اليهود المغاربة

[1] . المرجع السابق . ص 55.

أسباب سقوط دولة بني مرين

بوفاة أحد أهم حكام المرينين وهو أبي عنان انتهت المحاولة المرينية في سبيل توحيد الشمال الإفريقي، وضعفت نفوذهم بالمغربيين الأدنى والأوسط، ثم انتهى النفوذ المريني بجهة الشرق، حيث لم يحاول السلاطين من بعده القيام بأي غزوات بالأقاليم، وقد استولى البرتغاليون أيضاً على مدينة سبتة عام 818هجرية الموافق 1415 ميلادية، حيث مثل ذلك بدء انهيار دولة بني مرين، يليها استيلاء البرتغاليون على جزء شاسع من ساحل المغرب كما قاموا باحتلال طنجة عام 869 هجرية /1464ميلادية حيث لم يتبقى لدى الدولة المرينية سوى فاس.

ثم اضطربت أحوال الدولة المرينية وتدهورت الأمور بفاس نتيجة تعدد الثورات، وبعهد آخر سلاطين بن مرين وهو (عبد الحق بن أبي سعيد بن أبي العباس) بالفترة ما بين (823 / 869هجرية، 1320/ 1465ميلادية) اقترب اليهود من مقاليد الحكم ومن ثم تمكنوا من السيطرة على رقاب الأهالي، إذ انفجرت الثورة التي اشتملت مختلف أرجاء فاس، مما اضطرهم إلى مبايعة سلطان آخر وهو (الشريف أبي عبد الله محمد بن علي الإدريسي نقيب الأشراف بفاس) وكان ذلك بشهر رمضان عام (869هجرية / 1465ميلادية) وبذلك انتهت دولة بني مرين، ومن هنا يُذكر أن أبرز أسباب سقوطها هي:

1. ما تم شنه ضدها من دسائس من قبل ملوك الأسبان، إلى جانب من تحالف معهم من زعماء غرناطة وهو ما كان له دور بالغ الأثر في إضعاف دولتهم.
2. دخول حكام غرناطة بتحالفات فيما بينهم وبين الحفصيين وبني عبد الواد ضد بني مرين مما ضيق الخناق على المرينين.
3. دخول المرينين بصراع قوي مع دولتي المغرب الأدنى والأوسط، الأمر الذي كلفها العتاد، والرجال والأوقات والأموال.
4. ضعف السلاطين والأمراء بآخر عهد الدولة، مما ترتب عليه إضعافها وتسلط زعماء ووزراء العرب بشؤونها، وتنازعت المصالح والأهواء، لذا تولدت العديد من الانفجارات الداخلية ونشب نزاع فيما بين الآباء والأبناء والأعمام مما عجل بسقوط دولة المرينيين.
5. اقتراب اليهود من مقاليد الحكم ومن ثم تمكنوا من السيطرة على رقاب الأهالي، إذ انفجرت الثورة التي اشتملت مختلف أرجاء فاس، مما اضطرهم إلى مبايعة سلطان آخر وهو (الشريف أبي عبد الله محمد

بن علي الإدريسي نقيب الأشراف بفاس) وكان ذلك بشهر رمضان عام (869هجرية / 1465ميلادية) وبذلك انتهت دولة بني مرين.

الفصل السابع

الحركة العمرانية في العصر المريني

تمهيد

لقد حرص المرينيون على تنشيط حركات البناء والتعمير في دولتهم، باعتبارها مظهرا لحياتهم الاجتماعية الراقية المتقدمة، وقد شملت حرة البناء والتعمير جوانب الحياة في المجتمع المريني، من مدن جديدة، ومنشآت عامة كالمساجد، والمدارس، والمستشفيات، والفنادق، والقناطر علاوة المنشآت العسكرية.

المدن الجديدة

لقد شعر المرينيون دائما بحاجتهم إلي إقامة المدن الجديدة، فبنوا خلال عهدهم عددا كبيرا من المدن الجديدة، و كانت هذه المدن آية أيات الفن والعمارة في ذلك الوقت، وأصبحت هذه المدن ظاهرة تميز فن العمارة المريني، عن غيرة من فنون العمارة الحفصية والعبد الوادية والأندلسية.

فاس الجديدة

أو (المدينة البيضاء) وهذه المدينة أمر السلطان يعقوب بن عبد الحق ببنائها سنة (674هـ /1275م) إثر عودته من عبور الأول إلي بلاد الأندلس. ويذكر ابن خلدون أن سبب بناء هذه المدينة يرجع إلي أتساع نطاق الدولة المرينية، وكثرة الوافدين على السلطان المريني فرأى السلطان (يعقوب أن يختلط بلدا يتخيره بسكانه في حاشيته وأهل خدمته وأوليائه، وقد بنيت هذه المدينة ملاصقة لمدينة فأس القديمة في ساحة الوادي، ونزل فيها السلطان بحاشيته وذويه، واختطوا بها الدور والمنازل، والقصور وأجريت إليها المياه، وأصبحت هذه المدينة كما يقول أبن خلدون من أعظم آثار الدولة.

البنية

وهذه المدينة أمر ببنائها السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني، وقد أختار لها مكانا لصق مدينة الجزيرة الخضراء وكان الهدف من بنائها أن تكون مركز تجمع للقوات المرينية لضيق الجزيرة الخضراء، وبنى سورها سنة (681هـ /1282م).

المنصورة

أو منصورة تلمسان، وهذه المدينة بنيت في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني في أثناء حصارة الطويل لتلمسان سنة (698هـ /1298م) حيث اختط السلطان يوسف قصرًا لسكنة بمكان فسطاطه من معسكر حول تلمسان واتخذ بعد ذلك مسجدا للصلاة ثم آدار الأسوار على هذا النطاق وأمر الناس بالبناء، فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الأنيقة وأنشأوا البساتين، وأجروا لها المياه وفي سنة 702هـ /1302م، ثم أستدار السور حولها وأصبحت مصرا من أعظم الأمصار والمدن وأمر السلطان باتخاذ الحمامات والمارستان وابتنى مسجدا جامعا وشيد له مأذنة رفيعة، وهي باقية حتى الآن تشهد على براعة المهندسين المرينيين وحسن ذوقهم.

مئذنة مسجد المنصورة من الخلف

مدخل مسجد المنصورة

تطوان

مدينة تطوان

وهذه المدينة أسسها السلطان أبو ثابت المريني سنة 707هـ /1307م، وكان الهدف من بنائها هدفًا عسكريًا لاتخاذها لنزول الجند المريني.

هذا وكما أهتم المرينيون ببناء المدن الجديدة فقد حرصوا أيضًا على تجديد بعض المدن وبناء أسوارها وتجديد أبوابها.

ولعل أروع مثل يدل على مدى البراعة والخبرة التي تتمتع بها المهندسون والصناع المرينيون، قدرتهم الفائقة على إنجاز المشروعات والقصور السلطانية التي كانوا يكفلون ببنائها في أزمان قياسية، ومن ذلك القصر الذي بناه المهندسون والصناع للسلطان أبي الحسن المريني في أسبوع واحد وساهم في إقامته البناءون والنجارون والجياسون والزليجيون والرخامون والفنيون والدهانون والحدادون والصفارون، وأشتمل القصر على أربع قباب مختلفة، وديرتين تتصلان بهما منقوشة الجدران بالصناعات المختلفة، ونقشت

ساحة القصر وفرشها بالزليج والرخام وألبست الأبواب والخوخ بالنحاس المموه بالذهب والحديد المقصدر، وكان تصميم القصر قد رسم على قطعة من الكاغد ليلتزم به المهندسون والصناع.

وإلي جانب حركة البناء والتعمير التي قام بها سلاطين بني مرين وحركة الإصلاح والترميم في المدن المرينيه، كانت المشروعات العمرانية الخاصة التي يقوم ببنائها الأفراد على مختلف المستويات، ومن هذه المشروعات ما قام به الشريف أبو العباس في سبتة من أبنية ضخمة، تصور وجة الحضارة المرينية "كالرياض الأعظم " الذي أمام باب الميناء الأسفل الذي تأنق في بنائة وأبدع صنعتة، وجلب إلية الماء بالدواليب حتى أوصله إلي القبة ذات الأعمدة .

المنشآت العامة

المساجد

أهتم المرينيون ببناء المساجد الجديدة ، فاحتوت كل مدينة من المدن الجديدة التي سبق الحديث عنها على مسجد كبير ،كالمسجد الجامع بفاس الجديد ، الذي بنى سنة (677 هـ/ 1278م) وقد علقت بهذا المسجد ثرياه التي كان وزنها سبعة قناطير وخمسة عشر رطلا ، وعدد كؤوسها مائتان وسبعة وثمانون كأسا ،وغير هذه المساجد في المدن الجديدة ، مساجد أخرى لا تقع تحت الحصر بنيت في سائر جهات الدولة ،وفي الزوايا والأربطة . كما أهتم المرينيون بترميم المساجد وإصلاحها وتزويدها بأحتياجاتها حفاظا على الرونق الحضاري لهذه المساجد ومن هذه المساجد جامع القرويين وقد سبق وأن ذكرت ما قام به

المرينيون من زيادات وإصلاحات لهذا الجامع ، كما لقي مسجد الأندلس بالعدوة الأندلسية نفس العانية التي لقيها مسجد القرويين.

مئذنة الجامع الكبير المريني داخل أسوار مدينة وجدة، الذي بني في عهد أبي يوسف يعقوب المريني سنة 1296م. بقربه تقع المدرسة القرآنية التي شيدت سنة 1335م في عهد السلطان المريني أبو الحسن علي بن عثمان.

مسجد أبي الحسن بفاس

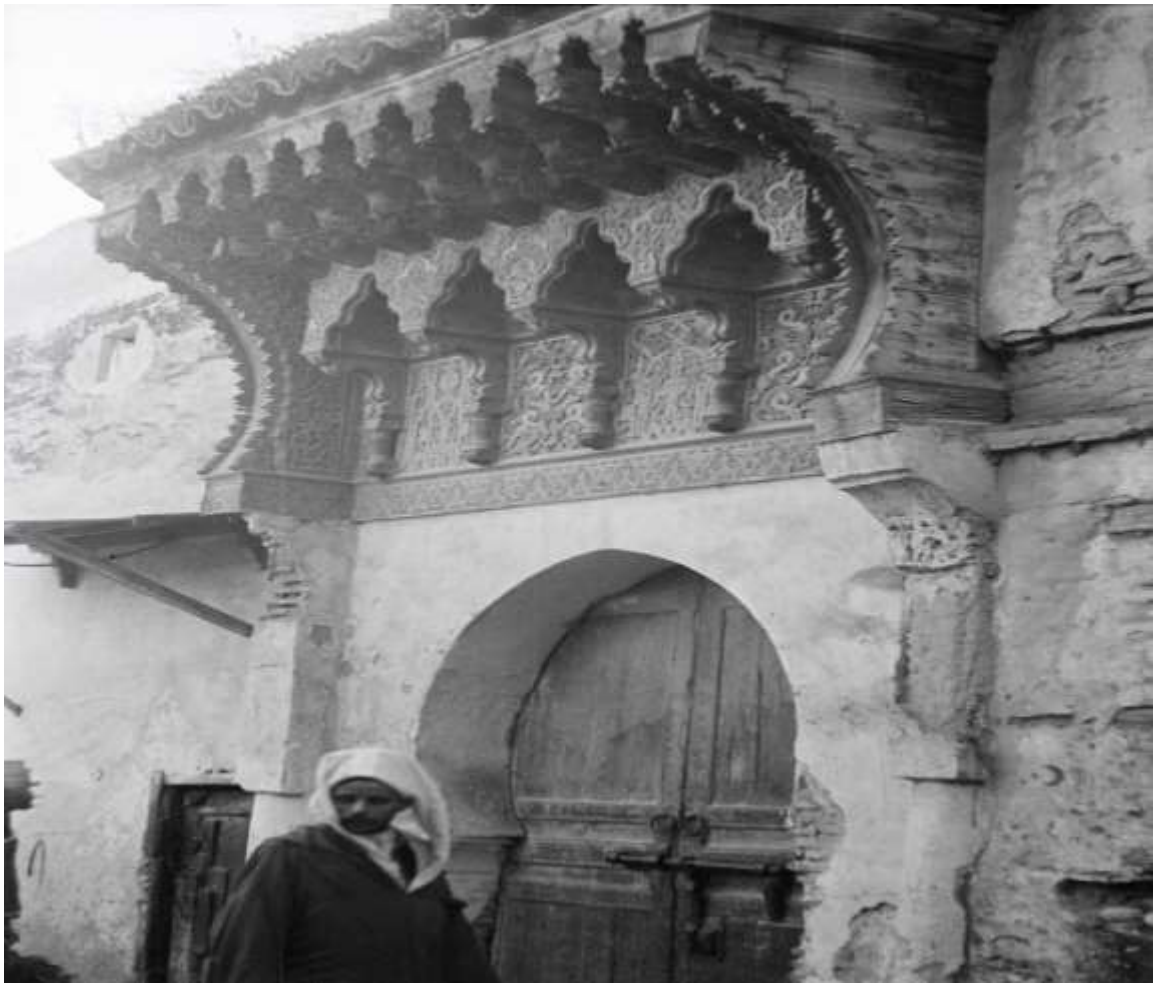

مدخل المسجد (عام 1932).

المسجد عبارة عن مبنى مستطيل بشكل عام بعرض 17 مترًا وعمق 10.35 مترًا تتميز واجهة شارع المسجد بمدخل على شكل قوس حدوة حصان مغطى بمظلة خشبية منحوتة مزخرفة.

تفاصيل المظلة الخشبية المنحوتة فوق مدخل المسجد

يتميز التصميم الداخلي للمسجد بفناء مربع صغير محاط بالأروقة على الجانبين وقاعة الصلاة الرئيسية في الجنوب. بشكل غير معتاد إلى حد ما، تتكون قاعة الصلاة من "صحن" عرضي واحد يعمل على طول العرض الكامل للمبنى بدلاً من تقسيمه بواسطة صفوف متعددة من الأقواس قاعة الصلاة مغطاة بسقف منحدر من الخشب وسقف خشبي بزخارف مطلية. فناء صغير آخر، متصل بالمسجد بواسطة ممر خارج الفناء الرئيسي، يحتوي على حوض مائي لأداء الوضوء .

الواجهة الشمالية للمئذنة) على جانب الشار

مئذنة المسجد، التي ترتفع فوق المدخل، لها شكل مغربي نموذجي مع عمود مربع. تم تزيين كل من واجهات المئذنة الأربعة إما بنمط *الشبكة*)يشبه تقريبًا *زخارف* زهرة الزنبق (أو زخارف هندسية أخرى متشابكة فوق شكل قوس يشع في قاعدته [4].تمتلئ المساحات الفارغة داخل زخارف من كل واجهة ببلاط فسيفساء *الزليج*، كما يجري شريط من الزليج بالقرب من أعلى عمود المئذنة. في حين أن الأنماط الهندسية قد ترجع إلى الفترة المرينية، فقد تمت إضافة بلاط *الزليج* حوالي أواخر القرن الثامن عشر أو أوائل القرن التاسع عشر خلال الفترة العلوية .يتشابه تصميم المئذنة مع مسجد الشرابليين الذي بُني في نفس الوقت تقريبًا.

جامع الأندلس

جامع الأندلس بفاس

يعتبر جامع الأندلسيين من أعرق مساجد العاصمة العلمية للمملكة، بنته سنة 245 هـ/859م، مريم الفهرية أخت فاطمة الفهرية التي بنت القيروان، ويعود المسجد الحالي إلى وقت الناصر الموحدي، وأضاف إليه المرينون نافورة في الفناء ومكتبة. بينما أمر مولاي إسماعيل بتجديده خلال حكم العلويين.

ويتواجد جامع الأندلسيين في الضفة اليمنى لوادي فاس (عدوة الأندلس)، وهي العدوة التي بناها المولى إدريس سنة 192 هـ، وكانت فاس أول الأمر مدينة صغيرة فبنى المولى إدريس فيها مسجدا صغيرا سماه مسجد الأشياخ، وأمام تزايد الوفود التي كانت تستظل بحمايته، عمد إلى بناء مسجد آخر سمي فيما بعد بمسجد الشرفاء.وأمام الهجرة التي قام بها القيروانيون والأندلسيون إلى مدينة فاس، لم يعد المسجدان اللذان كانا بالمدينة كافيين لساكنة المدينة، وأصبح الواقع يدعو إلى التفكير في بناء مساجد أخرى، ويذكر المؤرخون أن أسرة قيراونية كانت تسكن عدوة القيروانيين، تتكون من رجل اسمه محمد الفهري القيرواني ومن ابنتين له، إحداهما اسمها فاطمة والثانية اسمها مريم، فلما مات هذا الأب خلف مالا كثيرا، ففكرت فاطمة في بناء جامع القرويين بهذا المال الموروث، وفكرت أختها مريم في بناء جامع الأندلس وشرعتا في ذلك سنة 245 هـ.ولما تم المسجد بالبناء، أقبل الناس عليه واهتموا به، إلا أنه لم يصبح مسجدا جامعا تقام فيه الخطبة إلا في أيام الزناتيين الموالين للأمويين بالأندلس سنة 345 هـ، بعد مائة عام من تأسيسه، وزاد فيه الأمير أحمد ابن أبي بكر الزناتي زيادة كثيرة ونقل إليه الخطبة من مسجد الأشياخ. وأصبح له دور سياسي مهم، خصوصا في تلك الفترة الحاسمة التي كان المغرب يعيش فيها مهددا في كيانه. ووجه عنايته إلى إصلاح مسجد الأندلس ومسجد القرويين ونقل الخطبة إليهما.

واستقر رأي الناصر الموحدي على تجديد جامع الأندلس، وأدخل عليه من الإصلاحات ما بقي خالدا إلى الآن، ويكفيه فخرا أنه هو الذي بنى أعظم أبوابه وأحسنها زخرفة تلك هي الباب المدرجة التي توجد في جنوب المسجد.

وشهد المسجد إصلاحات في عهد المرينيين، ليصبح كلية تكاد تكون مختصة بدراسة الفقه المالكي وتحليل كتبه، وبلغ ازدهار المسجد أوجه، لأنهم كانوا يعتنون بالعلم عناية فائقة ويعلمون على نشره بكل الوسائل، فقد بنى أبو الحسن مدرسة الصهريج بإزائه ليقرب على الطلبة مشقة السير وليجعل مأواهم قرب المسجد الذي يدرسون به، وكذلك بنى مدرسة السبعين وجعلها خاصة للروايات السبع في القرءان.وسار السعديون على هذا النهج رغم اشتغالهم بالحروب ومحافظة الثغور ومعارضة التدخل الأجنبي، لأن اهتمامهم بالعلم كان من

أسس سيرتهم خصوصًا في أيام أحمد المنصور الذهبي الذي تولى الملك سنة 986 هـ بعد الانتصار العظيم الذي حصل عليه بوادي المخازن، وبعد القضاء على كل سعي يحاول الأجنبي القيام به لاحتلال البلاد من جديد. ورغم اعتناء السعديين بالدراسة في هذا المسجد وباختيار أحسن الخطباء له فهم لم يهتموا ببنايته ولم يصلحوه لذلك وجده العلويون في حاجة إلى عنايتهم فقام المولى إسماعيل بتجديد المسجد ورصف صحنه بالزليج.

وفي عهد العلويين كانت الدراسة بالمساجد تعتبر ذات أهمية كبرى وكان العالم لا يبلغ إلى التدريس بها إلا إذا ظهرت مقدرته العلمية وكفاءته في التلقين وكان الأستاذ قبل مهارته يلقي دروسه الأولية بالمدارس الموجودة في المدينة، حتى إذا أنس من نفسه الكفاءة أو آنسها منه طلبته توجه إلى المسجد وذلك ما وقع بالفعل لأبي العباس أحمد بن علي الوجاري المتوفى سنة 1141 هـ، فقد كان يدرس بالمدرسة الرشيدية برأس الشراطين لكن الطلبة ألحوا عليه في الذهاب إلى مسجد الأندلس، فلبى رغبتهم وأصبح أستاذ اللغة في هذا المسجد.

وفي عهد محمد الخامس رحمه الله، تجدد بناء هذا المسجد فقد قام بذلك في سنة 1356 هـ ثم أعطى الأوامر فجعله فرعا تابعا لجامعة القرويين، أما الآن وقد انتقلت الدراسة العلمية من المساجد إلى الكليات الخاصة والمدارس العصرية، فإنّ مسجد الأندلس ما زال يقوم بدوره الديني، وأما الدور العلمي فقد كان ينعدم إلا من بعض المتطوعين الذين يلقون بعض الدروس النحوية أو الفقهية البسيطة يعينون بها المبتدئين، أو من فئة تقوم بدروس الوعظ والإرشاد تابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية[1].

[1]. https://web.archive.org/web/20161217201617/http://www.maghress.com/attajdid/107120

جرت أحداث معركة الدونونية قرب إستجة بين إشبيلية وقرطبة، والتي انتصر فيها المرينيون، وتعود تسمية المعركة لنونيو غونثاليس دي لارا قائد الجيش القشتالي، الذي أرسل المغاربة رأسه لأهل غرناطة يبشرونهم بالنصر.

زاوية النساك التي أسسها السلطان أبو عنان فارس سنة 1356م في سلا

بقايا أسوار مرينية في مدينة سبتة

المدارس

المدارس المرينية ودورها العظيم في نشر العلم في الغرب الإسلامي (المصدر:بوابة نون الإلكترونية)

تعتبر المدارس المرينية أبلغ دليل على روعة العمارة المرينية، حيث أهتم المرينيون باستكمال كافة لوازم هذه المدارس ومتطلباتها، حيث كان الطلبة يقيمون فيها على نفقة السلطان المريني، وجاء اهتمام سلاطين بني مرين بالمدارس، لأنهم اتخذوا منها ميدانا لتدريس الفقة المالكي، ويبدوا أن ذلك عجل برحيل مذهب التوحيد الذي سيطر على بلاد المغرب أمد طويل.

المدرسة المرينية بتازة

وقد أنشأ المرينيون مدارسهم بمفهوم جديد، حيث لم تكن هناك في المغرب قبل العصر المريني مدارس للتعليم العالي المتخصص، ولسكنى الطلبة، وإنما كان العلماء المدرسون يلقون دروسهم في المساجد، وبصفة خاصة في جامع القرويين، وقد أبتنى المرينيون مدارسهم في العاصمة فاس وفي غيرها من مدن المغرب الأقصى، وقد سبق أن ذكرت بعض المدارس أثناء حديثي عن الحركة العلمية.

مدرسة العطّارين بمدينة فاس

مدرسة العطّارين بفاس

هي مدرسة في فاس، المغرب، بالقرب من مسجد القرويين .قام بتأسيسها السُلطان المريني أبو سعيد عثمان ما بين 1323 و 1325 م [2].تأخُذ المدرسة اسمها من سوق سوق العطارين، سوق التوابل والعطور. وتعتبر واحدة من أفضل الإنجازات في العمارة المرينية بسبب الزخرفة الغنية ومتناغمة والاستخدام الفعال لمساحة صغيرة تتألف هذه المدرسة من صحن مكشوف فيه حوض ماء، تحيط به قاعة للصلاة مربعة وصالات معدة لاستقبال الطلاب والأساتذة.

باب مدرسة العطّارين

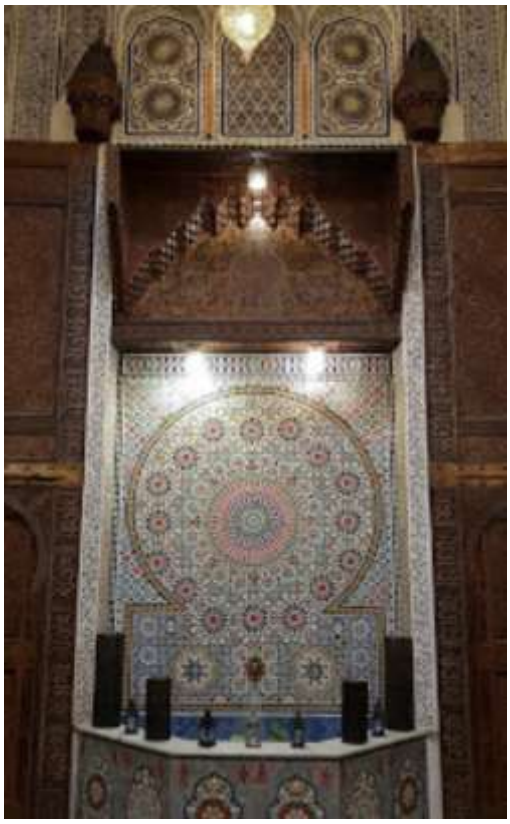

أحد النقوش البديعة بمدرسة العطّارين

من النقوش داخل مدرسة العطارين

كتابة آيات قرآنية على بعض حوائط مدرسة العطّارين

من داخل مدرسة العطّارين بفاس

مدرسة العطارين بفاس من الداخل

نماذج من الخط والنقوش بمدرسة العطّارين

نموذج من الخط الذي كان يدرّس في مدرسة العطّارين بفاس

نظرة مقربة للزليج حول النافورة

نقوش في مدرسة العطّارين

مدرسة الصّفّارين بفاس

مدرسة الصفّارين بفاس

مدرسة الصفارين هي مدرسة تاريخية بفاس البالي، المغرب .تعتبر الصفارين أول المدارس التي بنتها الدولة المرينية سنة 720هـ/1320م، وأسست على يد أبي يوسف يعقوب المريني على مقربة من جامع القرويين، وسميت بهذا الاسم لوجودها بين حوانيت المشتغلين بصناعة القدور النحاسية. وكانت تعرف في السابق باسم مدرسة الحلفاويين، وعرفت أيضًا بالمدرسة اليعقوبية، ومازالت تحتفظ بأثار فنية بديعة. تميزت مدرسة الصفارين بمكتبتها القيمة، وقد الحقت هذه الأخيرة بجامعة القرويين.

مدرسة الصفّارين

ساحة مدرسة الصفّارين

مدرسة الحلفاويين (الصفّارين) في فا

مدرسة الصهريج بفاس

مدرسة الصهريج بفاس

تقع مدرسة الصهريج غربي جامع الأندلس، وغلب عليها اسم "مدرسة الأندلس" كما سميت بالمدرسة الكبرى بينما سميت شقيقتها مدرسة السبعين بالمدرسة الصغرى، واتخذت المدرسة اسمها الأخير إشارة الى الخزان المائي المستطيل الشكل الذي يتوسط فناءها. أسسها ولي العهد أبو الحسن بن السلطان أبي سعيد عثمان بن يوسف بن عبد الحق سنة 721هـ/1321م، وشيدها على أرقى طراز، وقد كانت تكاليف إنشائها باهظة آنذاك؛ إذ فاقت المئة ألف دينار. وبنى حولها سقاية ودار وضوء وفندقًا لسكنى الطلبة، كما جلب إليها الماء من عين خارج باب الحديد.فن المعمار الذي اعتمد في تشييد وتزيين المدرسة لا يختلف كثيرا عن باقي مدارس فاس المرينية، حيث الأبواب والأسقف الخشبية المحفورة بعناية شديدة ومزينة بأشكال هندسية فائقة الجمال، تتمازج مع الأرضيات والجدران المرصعة بالزليج المتناسق الأشكال والألوان، وكذا اللوحات الجبسية المنقوشة بدقة، وتكتمل اللوحة الفنية بصهريج الماء الذي يزيد المدرسة حسنا وبهاء.

مدرسة الصهاريج من الداخل

تنتظم غرف الطلبة بالجزء العلوي للمدرسة وتحتوي على نوافذ تطل على فنائها. وتنتظم حول هذا الفناء الوسطي قاعة للصلاة، وثلاث أروقة وحجرات للطلبة. تشغل قاعة الوضوء الجزء الجنوبي الغربي بينما فتح باب الدخول في جدار السور الغربي وألصقت بها فتحة باب تؤدي إلى نافورة وإلى مراحيض.

تعرضت المدرسة للإهمال لسنوات، فانمحت بعض نقوشها وطمست بعض زخارفها، كما تهشمت الباب المؤدية إلى فنائها، وتداعت جدرانها. وكانت مغلقة متآكلة في بداية القرن العشرين، كما أورد "روجي لوطورنو" في كتابه "فاس قبل الحماية". لكنها خضعت لعملية ترميم خلال فترة الحماية الفرنسية أعادت لها رونقها، وأهملت مجددا إلى أن رممت من قبل وكالة تنمية وتأهيل فاس، وصارت تابعة لجامعة القرويين ومفتوحة في وجه الطلبة.

بهو المدرسة البوعنانية ،1357فاس (المغرب)

مدارس فاس التاريخية.. صورة لحضارة عريقة تجمع بين العلم والجمال - بوابة نون الإلكتروني

المدرسة المصباحية

- المدرسة المصباحية: تحفة معمارية استعادت بريقها

بنيت المدرسة الرخامية أو المصباحية سنة 1346 أو 1347 وورد في بعض المصادر أنّها بنيت سنة 1344م. شيدها أبو الحسن المريني على مقربة من جامع القرويين، وتسمى اليوم المدرسة المصباحية نسبة إلى أول الفقهاء المدرسين فيها وهو مصباح بن عبد الله الياصولتي المعروف بأبي الضياء المتوفى سنة 750هـ/ 1349م. وتعود الإشارة إليها باسم المدرسة الرخامية نسبة إلى الحوض الرخامي الذي يتوسطها ويزن 143 قنطارًا، وقد جلب إليها هذا الحوض من المرية في الأندلس عن طريق البحر، ثم إلى العرائش، فوادي قصر عبد الكريم، ثم عبر وادي سبو، وحملته القبائل إلى مدرسة الصهريج بفاس، ثم نقل إلى المدرسة المصباحية بعد أعوام ليتوسط فناءها.

تتميز المدرسة بمعمارها الأندلسي الأخاذ، مع اللمسة المرينية التي ميزت عمران مدينة فاس في تلك الحقبة. وتتألف من بنايتين، يتوسط كل منهما صحن تحيط به غرف الطلبة من الجوانب. كما اشتملت على 117 غرفة، وثلاث طوابق إضافة إلى الطابق السفلي (دمر منها الطابق العلوي كليًا)، ولها بابان (الأولى تفضي إلى سقاية العين والثانية تطل على ممر بوطويل، وكانت لها باب ثالثة تطل على زنقة الحجامة). وقاعة صلاة دون محراب، وتتوسطها سارية من الرخام.

كانت تعتبر المدرسة المصباحية من بين أكبر المدارس وأكثرها استقبالا للطلبة، ويجيئها معظمهم من حوز مراكش وجهات دكالة وعبدة و الشياظمة وجبالة. وكانت طاقتها الاستيعابية تصل إلى 140 طالب علم، لكنها غالبا ما كانت تستقبل 100 طالب فقط، وتحصل من أحباس خبزة المدرسية على 100 خبزة من أصل 400 خبزة موجهة لمدارس فاس، ولا ينقص هذا العدد ولا يزيد مهما تقلص أو زاد عدد الطلبة .بعد أن كانت وجهة لطلاب الفقه والفلك لقرون من الزمن، فقد تعرضت معالمها للإتلاف والتخريب، وسرقت محتوياتها وما تزخر به من قطع أثرية غاية في الروعة، وطمست بعض زخارفها ونقوشها، كما انهارت بعض أجزائها نتيجة الإهمال الطويل، ولم تسلم من السرقة والتخريب إلا البلية الرخامية لأنها ثقيلة الحجم.

أعيد ترميم المدرسة المصباحية من قبل وكالة تنمية وتأهيل فاس، وباتت تابعة لجامعة القرويين ومفتوحة في وجه الطلبة والزوار، الذين يسحرهم جمالها وتبهرهم دقة تفاصيلها.[1]

مدرسة السبعين

مدرسة السبعين

تقع مدرسة السبعين شرق مدرسة الصهريج، وكانت مخصصة لسكنى طلبة القراءات السبع، لذلك سميت باسمها هذا. كما سميت بمدرسة الأساتيذ ومدرسة التجويد في الوثائق القديمة، وكذا المدرسة الصغرى، فيما كانت تسمى مدرسة الصهريج المدرسة الكبرى.

أسس المدرسة ولي العهد المريني آنذاك "أبو الحسن المريني"، عام 720هـ/ 1321_22م، في نفس فترة تشييد شقيقتها مدرسة الصهريج، لكنها كانت أصغر حجما، وتعتبر ملحقة بها.

[1] . الجزناتي. علي . (1991م) جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ط2.ص 37، لوتورنو. روجي . فاس في عصر بني مرِيْن . ترجمة الدكتور نيقولا زيادة. ص 43، 44، الشاهري. مزاحم علّاوي . الحضارة العربية الإسلامية في المغرب (العصر المريني)، ص 215، 216.

تصميم مدرسة السبعين بسيط جدًا، فهي عبارة عن ساحة محاطة بأربع واجهات مسقفة، ولها طابق علوي، وحجرة الدرس والعبادة بها قوس في قبلتها عوض المحراب، كما تحتوي على بعض الغرف. عانت كثيرًا من الإهمال والنسيان حتى تصدعت جدرانها وانهارت بعض أجزائها، لكنها خضعت مؤخرًا لعملية ترميم أعادتها للحياة وبعثتها من بين الأنقاض[1].

نوافذ مدرسة أبي عنان تطل على أزقة فاس.

المستشفيات ودور الرعاية

لقد حرص سلاطين بني مرين على بناء المارستانات (المستشفيات)لعلاج المرضى فأنشؤوا مارستانات للمرضى والمجانين، ورتب لهذه المستشفيات الأطباء لتفقد أحوال المرضى، وأجرى على الجميع المرتبات والنفقات من بيت المال، ورتب كثيرا من أموال الجزية للاهتمام بالجذامى والعميان، وأبتنى السلطان أبو الحسن المريني بفاس مارستانات لمداوة السفن، وتراقب الداخل والخارج منها.

[1] . المصدر: الباحث. الطيب عيساوي، مراجعه :محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ص 240، مزاحم علاوي الشاهري، الحضارة العربية الإسلامية في المغرب (العصر المريني)، ص 217.روجي لوتورنو، ترجمة الدكتور نيقولا زيادة، فاس في عصر بني مرين، ص 29.

مارِستَان سيدي فرج

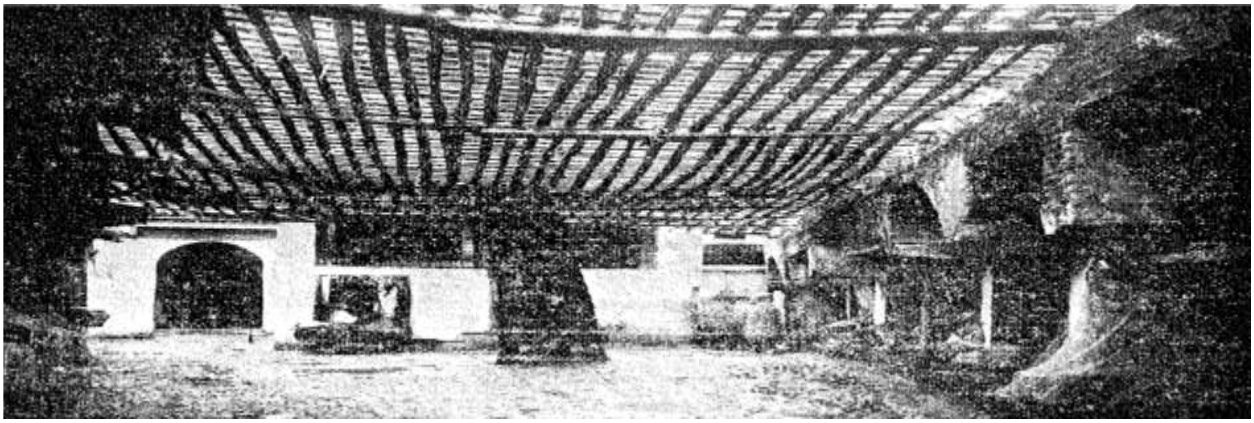

مارستان سيدي فرج (مارستان فاس)

ويُعرف أيضًا باسم **مَارِستَان فاس** هو مارستانٌ تاريخي شيده السلطان المريني أبو يعقوب يوسف الناصر في مدينة فاس في المغرب عام 685 هجريًا المُوافق 1286 ميلاديًا. وقد كان لفترةٍ طويلةٍ معلمًا حضاريًا يعتز به سكان فاس، ويُعتبر أقدم وأشهر وأهم مارستانٍ في المدينة، وواحدًا من أشهر وأهم المارستانات في المغرب، حيث زارهُ قديمًا عددٌ من كبار علماء الطب في ذلك الوقت.[1]

اعتمدتْ الموارِدُ المالية للمارستان على عائدات أراضي الأَحْباسِ والعطاءات والهِبَات التي يُقدمها الأفراد، حيثُ استخدمت هذه الموارد في بناء المارستان وصيانته والحفاظ عليه. بنيَ المارستان على الطراز المعماري المريني المُستوحى من العمارة الأندلسية، ويتكون من طابقين وحديقةٍ تتوسطها شجرتان معمرتان، بالإضافة إلى مسجدٍ في داخله، فيما كان جدارٌ أبيضٌ ذو بابٍ عالٍ مُغطىً بالحديد يُحيط بالمبنى كله. أُعيد ترميمُ المارستان في عهد السُلطان أبي الحسن المريني، كما أُدخلت عليه بعض التحسينات في عهد السلطانُ أبو عِنان المريني.[2]

كان يُشرف على تنظيم المارستان ناظرٌ يساعده كاتبٌ ويتولى ناظر الأَحْباسِ مهمة مراقبة صرف الأموال، كما كان المارستان يضمُ أطباء ومُساعدين وحُراس وطباخين وفقيهًا واحدًا. يُعرف من هؤلاء الموظفين اثنان من نُظَّار المارستان خلال العصر المريني، هما أبو فارس عبد العزيز بن محمد القروي ومحمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي.[3] كما أنَّ الحسن الوزان كان قد عمل كاتبًا في المارستان لمدة عامين وكان ذلك في بداية القرن السادس عشر الميلادي، كما ساعدت كتابته في بيان حال المارستان في تلك الفترة .

مارستان سيدي فرج من الداخل

كانت تُمارس تخصصاتٌ طبيةٌ مُتعددةٌ في مارستان سيدي فرج، واستمر ذلك حتى القرن الخامس عشر حيثُ اقتصر على التعامل مع المرضى النفسيين فقط. يُعد مارستان سيدي فرج واحدًا من أقدم مستشفيات الأمراض النفسية في العالم، وقد يكون أول نموذجٍ لمستشفىً للأمراض النفسية في العالم. كان العلاج فيه يعتمدُ على نوباتٍ موسيقيةٍ أندلسية تُقدمها فرقةٌ موسيقيةٌ ضمن طاقم عمل المارستان. لعب المارستان دورًا اجتماعيًا أيضًا، حيثُ كان المسؤولون يقومون بتوزيع الملابس والأكل على الفقراء والمحتاجين، ويُنفق على غسل وتكفين الغُرباء والفقراء من الموتى. كما كان للمارستان وظيفةٌ غريبةٌ تمثلت في عمله مشفىً وملجأً لطيور اللقلق .

مريضٌ في مارستان سيدي فرج، وربما يكون مريضًا نفسيًا

القيسارية الموجودة في موقع المارستان الأصلي حاليًا

في أواخر القرن الخامس عشر قام السُلطان المريني أبو سعيد عثمان ببيع ورهن ممتلكات المارستان من أجل تجهيز الجيش، مما أدى إلى تدهور حالة المارستان. وبحلول القرن التاسع عشر، كان هذا التدهور واضحًا بسبب الحكم الاستعماري .استمر مارستان سيدي فرج في العمل حتى عام 1364 هجريًا المُوافق 1944 ميلاديًا. وفي عام 1951م، أعادت السلطات الاستعمارية الفرنسية فتح مارستانٍ جديدٍ في موقع مختلف يعمل وفقًا للنظريات النفسية الغربية الحديثة، ونقل إليه مرضى المارستان القديم.[1]

في عام 1978م حولَّ مارستان سيدي فرج إلى الإدارة العمومية، وفيما بعد أصبح موقع المارستان الأصلي قيسارية يضم متاجر مختلفة تباع فيها الملابس والأثاث المنزلي حتى يومنا هذا، وتُستعمل غرف المارستان حاليًا في بيع الفخار والحناء[1] .

سوق الحناء قرب مارستان سيدي فرج عام 1911م

1. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%86_%D8%B3%D9%8A%D8%AF%D9%8A_%D9%81%D8%B1%D8%AC

المؤسسات الحربية

وإلى جانب اهتمام المرينيين بجميع النواحي من علمية، وفكرية، واقتصادية، واجتماعية، وعمرانية، خاصة أنهم لم يضعوا قيودًا على الفكر ولم يفرضوا عقيدة معينة على أحد.

فقد اهتموا بالجيش ورجاله وأسلحته وملابسه ودواوينه وأرزاقه فقد اهتموا أيضًا بمنشآته العسكرية التي من شأنها أن تنظم أسلوب حياته وتزيد من قدراته سواء من ناحية الدفاع أو الهجوم ، وقد تعددت هذه المنشآت تبعًا لتعدد الأغراض التي أقيمت من أجلها فالمدن والأسوار المحيطة بها والأبراج والحصون والخنادق ، والإصطبلات والاهراء والمنازل الخاصة بالجند كل هذه الأشياء ما هي إلّا منشآت عسكرية أقامها المرينيون لأغراض حربية والوقع إن غهتمام المرينيين بهذه الناحية يرجع إلى بداية عهد دولتهم خاصة خلال عهد أبي يوسف يعقوب وقد ازداد هذا الاهتمام في العهود التالية وما زالت بعض هذه المنشآت العسكرية قائمة إلى الآن فقد اهتم المرينيون بتلك التحصينات الدفاعية لأنّ دولتهم تميزت بكثرة الحروب التي خاضتها سواء في مرحلة تأسيسها أو مرحلة ازدهارها وتوسعها وتركزت أهم هذه التحصينات الدفاعية على الحدود الشرقية للمغرب الأقصى لمواجهة خطر بني عبد الواد وفي بلاد الأندلس علي طول سواحل الدولة المطلة علي البحر المتوسط لمواجهة خطر الأسطول الأسباني ومن هذه الحصون (القصبات والقلاع و الأبراج و الأسوار والقواعد الحربية والحصون و الأربطة ، واهتم السلطان يوسف بالمنشآت الحربية فقد بني قصبة تطوان ، وكان بناء هذه القصبة يهدف إلي حصار سبته والاستيلاء عليها ، ومن القصاب التي شيدوها أيضا قصبة مكناسة، وقصبة مدينة وجدة ، وكذلك اهتم ببناء القلاع كقلعة دبدو بمدينة دبدو في عام ٦٨٥هـ ،١٢٨٦م وقيل إنّها بنيت سنة 700هـ ، 1300م. ومن المدن التي أهتم المرينيون بتحصينها تحصينًا قويًا "مدينة تاوريرت" التي كانت لأملاك المرينيين وبني عبد الواد وكان لكل من الدولتين عامل عليها .[1]

ثانيا: أن القوى السياسية التي كانت تحكم في الشمال الإفريقي أثناء قيام دولة الأدارسة هي:

1- الدولة الأغالبة: في القيروان (148هـ -296هـ) وهي سنية.
2- الدولة الرستمية: تاهرت (144هـ - 296هـ) وهي من الخوارج الأباضية.

[1] . سليمان . سالم محمد سالم . المؤسسات الاجتماعية في عهد بني مرين (610- 869ه / 1213- 1464م)

3- دولة بني مدرار الصفرية:(140هـ- 349هـ) في سجلماسة.
4- دولة بني صالح الصفرية:(125هـ-455هـ) في تامسنا.
ودخل الأدارسة في صراع بينهم انتهى بالقضاء على بعض الخوارج والصلح مع الدول القائمة.

ثالثًا: ومن خلال هذا البحث تبين لنا مدى اهتمام المستشرقين إثبات أنّ فاسًا بنيت في عهد إدريس الأول سنة 173هـ، وان إدريس الثاني بني فأسا أخرى ملاصقة لفأس التي بناها والده، ولعل هذا الاهتمام يعود إلى محاولتهم إثبات أن البربر هم الذين بنوا فاسًا وليس العرب، لان إدريس الأول كان يعتمد على العنصر البربري، بينما إدريس الثاني كان اعتماده على العنصر العربي – فهم يريدون سلب العرب من أي أنجاز يحققونه.

رابعًا: أن جامع القرويين الذي بنته السيدة القيروانية فاطمة بنت محمد الفهري في فاس في أول رمضان سنة 245هـ- رغم أنّ ترتيبة الثامن بالنسبة للجامعات الإسلامية فهو الأول بالنسبة لجامعات العالم، إذ كان تاريخ إنشائه أسبق من أقدم جامعات العالم.

خامسًا: الدور الكبير الذي قامت به جامعة القرويين في فاس في تنشيط الحركة العلمية وكيف كانت تدرس فيه العلوم الإسلامية والأدبية واللغوية والتاريخ والرحلات والجغرافيا والفلك والطب والرياضيات والفلسفة والمنطق، ومن أشهر أستاذته ابن خلدون، ولسان الدين الخطيب، كما أسهم في تخريج العلماء في مختلف العلوم.

سادسًا: أنّ فاسًا كانت دائما تفتح أبوابها لمن يهاجر إليها فرارًا من الظلم والعدوان ولا سيما من القيروان والأندلس، وأنّ هؤلاء المهاجرين خاصة القيروانيين والقرطبيين ؛ إذ كانت القيروان عاصمة العلوم والآداب الأولى في أفريقية والأندلس، واعتبرت قرطبة خزينة العلوم والآداب – أسهموا بشكل كبير وإيجابي في بناء النهضة الحضارية التي شهدتها فاس ولا سيما النهضة العالمية.

سابعًا: أنّ عناصر السكان في فاس يتآلفون من ستة عناصر هي:

1- البربر
2- العرب
3- الأندلسيون

وهذه العناصر الثلاثة تمثل الأغلبية والأكثرية، وهناك ثلاث فئات تمثل الأقلية وهي:

4- الغز الأتراك: الذين استعان بهم المرابطون في جيوشهم.

5- الروم

6- اليهود

وسكن الروم واليهود في حي واحد هو حي الملاح.

ثامنًا: أنّ المرينيين وثقوا في اليهود واطمأنوا إليهم ،وولوهم مناصب هامة في القصر وفي الحكم كالحجابة والوزارة، وقد تآمر اليهود عليهم وأسهموا في إسقاط دولتهم وكان هذا من الأخطاء الكبرى لبني مرين.

تاسعًا: أنّ أهم ما يميز مدينة فاس عن سائر المدن الإسلامية أنّ فاس القديمة لازالت قائمة حتى الآن بسورها، وحوانيتها، وأزقتها، وحارتها، وأسواقها، ومنازلها، ومساجدها، ومدارسها، وبيت الطلبة، بل حتى مربط الحيوانات لا يزال إلي الآن موجودًا وبه الحيوانات، التي تستخدم في التنقل داخل المدينة، لقد رأيت كل هذا أثناء زيارتي لهذه المدينة العريقة الجميلة، في حين أنّ سائر المدن الإسلامية لم تحافظ على تراثها و قديمها بل توسعت على حساب القديم، فالمدن الإسلامية جميعها أن حافظت على القديم فتحافظ على بعض المساجد، والبيوت أو الحارات، أما أن تحافظ عليها بالكامل مدينة كاملة متكاملة فهذا لا يوجد إلا في فاس القديمة، مع أنّ فاس الجديدة من أجمل المدن الحديثة، وبذلك استطاعت أن تجمع بين القديم والحديث. ويا حبذا أن تحذو المدن الإسلامية حذو مدينة فاس وأن نحافظ على ما بقي لدينا من آثار.

أحد أسواق فاس القديمة

تم بحمد الله وتوفيقه

سهيلة زين العابدين حمّاد

ثبت مصادر ومراجع البحث

1. ابن خلدون. عبد الرحمن (ت: 808هـ) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادة .ط 2 سنة 1408هـ – 1988م، دار الفكر، بيروت – لبنان
2. ابن الأثير. أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت 630 هـ). الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف العرفان. ط 1 سنة 1407هـ /1987 م. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان
3. ابن بطوطة. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي. (ت 779 هـ). رحلة ابن بطوطة. الطبعة بدون رقم سنة 1412هـ /1992 م دار صادر. بيروت – لبنان.
4. أبن الأحمر. أبو الوليد إسماعيل بن يوسف (ت 807هـ). النفحة النسرينيه واللمحة المرينية. تحقيق الدكتور عدنان محمد آل طعمة. الطبعة بدون رقم سنة 1992م. دار سعد الدين. دمشق – سوريا.
5. البكري. أبو عبيد (ت 487 هـ). المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب. دار الكتاب الإسلامي. القاهرة – مصر.
6. الحموي. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626 هـ). معجم البلدان. تحقيق فريد عبد العزيز الجندي. ط 1 سنة 1410هـ /1990م. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
7. الفاسي. يوسف بن عابد بن محمد بن محمد عمر الحسيني المغربي (ت 1048 هـ). رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلي حضرموت. تحقيق إبراهيم السامراني وعبد الله محمد الحبشي. ط 1 سنة 1993م..دار المغرب الإسلامي. بيروت – لبنان.
8. القلقشندى. أبو العباس أحمد بن على (ت سنة 821هـ). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الطبعة بدون رقم سنة 1405هـ /1985م. الهيئة العامة المصرية للكتاب. القاهرة – مصر.
9. س.المراكشي. أبن عذارى (توفي في نهاية القرن السابع الهجري). البيان المغرب في أخبار الأندلس. تحقيق ومراجعة ج.س . كولان وأ. ليفي برفنسال. ط3. سنة 1983م. دار الثقافة. بيروت – لبنان.
10. المراكش. عبد الواحد (توفي في القرن السابع الهجري). المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور محمد زينهم محمد عزب، الطبعة بدون رقم وتاريخ. دار الفرجاني للنشر والتوزيع. القاهرة – مصر.

11. بروفنسال. (مستشرق)، أ. ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة الدكتور سيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، الطبعة بدون رقم سنة 1990م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية – مصر.

12. الجزناتي. علي . (1991م) جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ط2.

13. الحريري. (دكتور)، محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط2 سنة 1408هـ – 1987م، دار العلم – الكويت.

14 .حسن. د. إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط13 سنة 1411هـ – 1919م، دار الجيل، بيروت – لبنان.مكتبة النهضة المصرية، القاهرة – مصر.

15. خطاب. (لواء ركن) محمود شيت، قادة فتح المغرب العربي، ط7سنة 1404هـ– 1984م.

16. الخولي. د. محمد عبد العظيم.(2018) مجلة المؤرخ العربي . العدد 26. الجزء الأول.

17..دندنش. د. عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ط1 سنة 1408هـ– 1988م.

18.زبيب. نجيب. الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ط1، سنة 1405هـ– 1995م، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت – لبنان.

19. سالم.د. السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الطبعة بدون رقم وتاريخ، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية – مصر.

20. سليمان . سالم محمد سالم . المؤسسات الاجتماعية في عهد بني مرين (610– 869هـ / 1213– 1464م)

21. السائح. الحسن. الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2 سنة 1406هـ – 1986م. دار الثقافة للنشر والتوزيع. دار البيضاء، المملكة المغربية.

22 . الشاهد. أ.د. مزاحم علوي. يهود المغرب في العصر المريني (سنة 668هـ) . المجلة التاريخية الجزائرية . العدد 3 جوان 2017.

23. الشاهد. مزاحم علّاوي . الحضارة العربية الإسلامية في المغرب (العصر المريني).

24. شلبي. د. أحمد. موسوعة التاريخ الإسلامي. ط5. سنة 1990م. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة – مصر.

25. الطالبي. د. محمد، الدولة الأغلبية.(1985) ترجمة الدكتور المنجي العيادي، ط1، سنة م، دار المغرب الإسلامي، بيروت – لبنان.

26. الطيب. محمد سليمان. (1415هـ– 1994م) الإنصاف في تاريخ الأشراف في المغرب الأقصى والأدارسة، ط1. دار الفكر العربي، القاهرة – مصر

27. العبادي. د. أحمد مختار. دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط1، بدون تاريخ، الناشر محمد أحمد بسيوني، الإسكندرية – مصر.

28. عبد الحليم. د. رجب محمد، دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى، الطبعة بدون وتاريخ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

29. عبد الحميد. د. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، الطبعة بدون رقم وتاريخ، منشأة المعارف، الإسكندرية – مصر.

30. العروي. عبد الله. (1994م) مجمل تاريخ المغرب، ط4 . المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان.

31. عيساوي .الطيب. مراجعه :محمد المنوني. ورقات عن حضارة المرينيين.

32. الفقي. د. عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، الطبعة بدون رقم وتاريخ.

33. لوطورنو. (مستشرق) روجية. (1412هـ– 1992م) فاس قبل الحماية، ترجمة محمد محيي، ومحمد الأخضر، الطبعة بدون رقم، ، دار المغرب الإسلامي، بيروت – لبنان.

34.لوطورنو. روجيه . فاس في عصر بني مرين . ترجمة الدكتور نيقولا زيادة.

35. محمد . د. بدر عبد الرحمن. (1406هـ- 1986م) الأغالبة والأدارسة في بلاد المغرب، ط1، سنة ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة – مصر.

36. محمود. (دكتور)، حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، الطبعة بدون رقم وتاريخ، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر.

37. المنوني .محمد (1989) حضارة الموحدين ، ط1 م، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية .

38. موسى. د. عز الدين عمر.(1411هـ- 1991م) الموحدون في المغرب الإسلامي. ط1. دار المغرب الإسلامي، بيروت – لبنان.

مواقع اليكترونية

.39

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%86_%D8%B3%D9%8A%D8%AF%D9%8A_%D9%81%D8%B1%D8%AC

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%86_%D8%B3%D9%8A%D8%AF%D9%8A_%D9%81%D8%B1%D8%AC

.40

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B3%D8%AC%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%B1

/. https://alfania.ma/2019/08/16/14830.41